٣٣

مجلة
روايات أحلام

حارس النجوم

مكتبة رواية www.riwaya.net

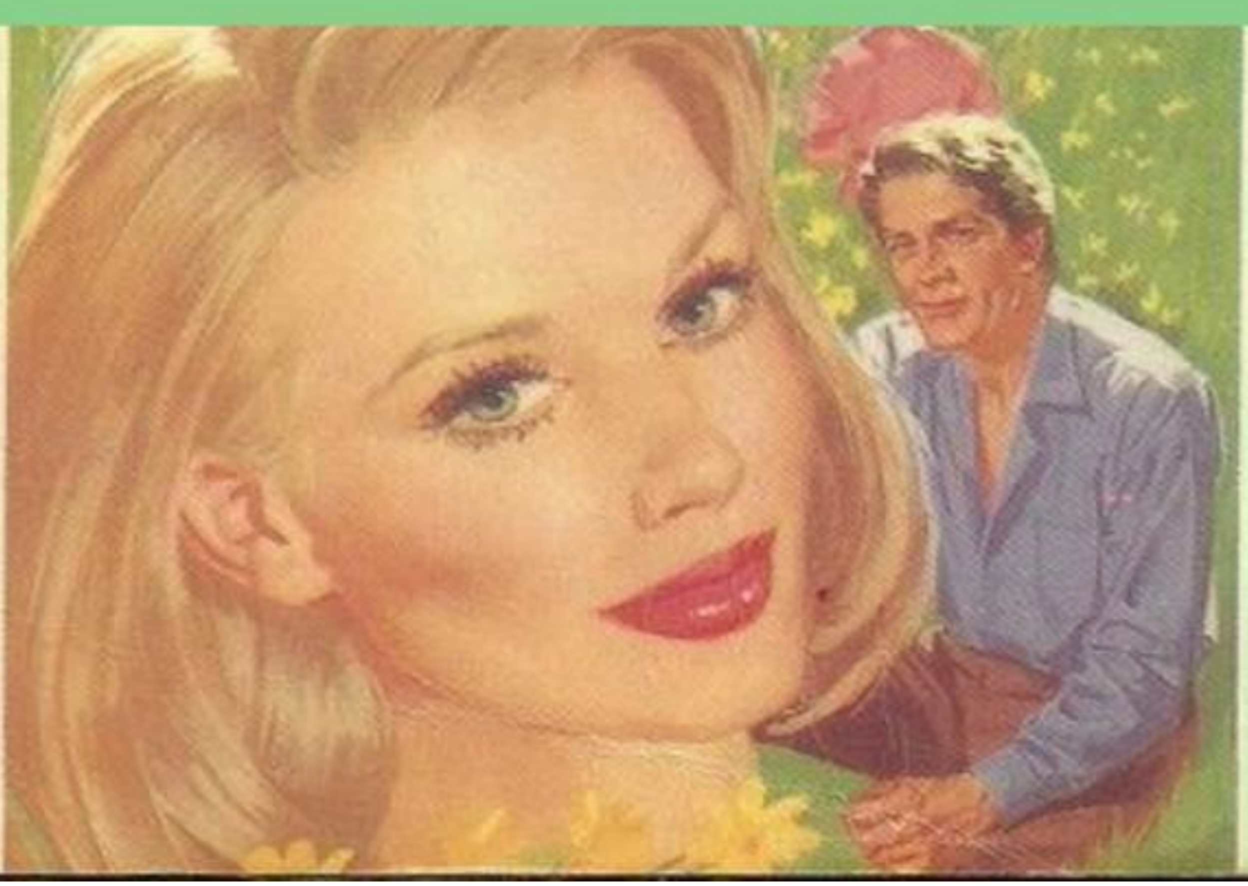

حارس النجوم

لتحميل مزيد من الروايات الحصرية و المميزة

زوروا موقع مكتبة رواية

www.riwaya.net

www.riwaya.ga مكتبة رواية

حارس النجوم

العدد 33 روايات احلام

الكاتبة :جانيت ديلي

العنوان الأصلي :

The Mating Season Deceit

الملخص

وعادت بعد غياب ست سنوات . النجمة التي خسرتها سماء المزرعة ، والتي تألقت في سماء « سيدني » حتى باتت من ألمع نجومها ، وها هي الآن في أرض طفولتها مع خطيبها الناجح دونالد بيدل الذي رافقها ليتعرف إلى أهلها .

لكن برايان إلسوب ، حارس الأرض ، لم يرحب بعودتها . في عينيه الآن نظرة سوداء ، وفي قلبه مرارة ، وفي تصرفاته عنف لا يرحم . أفهمها أنها فقدت مكانها في المزرعة ، وما عادت منارة لياليها .

فتح لها برايان نوافذ الماضي نافذة تلو أخرى ، حتى كانت ليلة عاصفة ووجدت شارلوت نفسها أمام رجلين يتقاتلان حتى الموت من أجلها . . .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الفصل الأول : العودة إلى الجذور

سار الرجل والمرأة ببطء في ممر خروج المطار ، المرأة طويلة ممشوقة القوام غير مكترثة لنظرات الرجال حولها ، شعرها أشقر فاتح يسترسل الى ما بعد كتفيها بقليل ، معقوص خصلات صغيرة تتجه إلى الأمام لتشكل اطارًا لوجهها ، وقسماته المكتملة .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الرجل يماثلها تألقًا وطولاً لا يزيد عنها أكثر من انش أو اثنين وهو ذو خطوات رشيقة يحمل معطفًا عليه دمغة محل فاخر يدل على غلاء ثمنه ، ويحمل أيضا حقيبة سوداء اللون فاخرة ، وكان مثلها ، بهي الطلعة بطريقة معقولة .

حين وصلا الى كشك بيع الصحف والمجلات ، أمسك يدها ليجذبها الى الداخل . . ظهر فوق. المجلات المعروفضة غلاف مجلة أزياء ، تزينة صورة للمرأة التي كانت تحدق إلى

الصورة الآن شفتاها اللامعتان بالأحمر عليهما طيف ابتسامة ، أما عيناها فتشعان اشراقة وسعادة داخلية .

تناول نسخة عن الرف ليتأملها عن كثب :

– هذا غلاف آخر ينضم الى مجموعتك حتى الآن . شارلوت غراي اكبر عارضة في البلاد . كيف تشعرين وأنت وجه معروف يجري وراءه الكثيرون ؟

ابتسمت شارلوت ساخرة :

– لا أشعر باختلاف كبير عن البشر حتى يسألني أحدهم مثل هذا السؤال . أحيانًا أحس بأن هده المرأة شخص آخر . ليس أنا .

– ليس في البلاد إلا شارلوت غراي واحدة ، ولست أهتم بما تقوله شهادة ميلادك ، فمازلت أعتقد أن وكيلك اخترع هذا الاسم .

خرجت ضحكات رنانة من حنجرتها . . إنه الاتهام نفسه الى طالعها به دونالد بيدل حين

التقيا للمرة الأولى منذ سنتين ، فى حفلة عرض كتاب جديد ألفه دونالد ، كانت إحدى المرات النادرة التي تسهر فيها شارلوت ، فكررت الرد نفسه الذي قالته يومها :

– ستؤكد لك أمي الاسم إذا شئت ، فاسم شارلوت كان أقرب الى أسم والدي تشارلي غراي .

– أعدك بأنني سأسألها حين ألقاها . سأشترى هذه المجلة لأنها جديدة ، ولربما أمك لم تطلع عليها بعد .

– سيعجبها هذا .

لن يجد دونالد صعوبة في شق طريقة الى قلب أمها ، لكنها تعلم أن الامر بالنسبة لأبيها مختلف . لكن دونالد رجل لجوج مصمم لقد كسب ودها وقلبها ، ولو بعد سنتين .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بدا لها حين التقيا للمرة الأولى شديد الفتنة ، داهية ، ذا حنكة وخبرة بالحياة جعلتها لا تثق به . لم يكن لثرائه أثرًا عليها ، فعائلتها غراى تملك مزرعة وماشية قد تكون ندًا لعائلته . لذا لم تؤثر فيها الهدايا الثمينة التي أمطرها بها

.

كانت شارلوت تعيش في شقة واسعة جميلة مُذ وصولها الى سيدنيق قبل ست سنوات . . كان أبوها يدفع الايجار حتى أصبح راتبها من عرض الازياء مبلغًا تستطيع معه العناية

بنفسها . . وكانت تشاطرها الشقة مصممة أزياء ، لسبب واحد وهى الصحبة لا المال . فلم يكن هناك شيء مادى قد يقدمه لها دونالد عاجزة هى عن الحصول عليه .

ولم يترك وضعه الاجتماعي بين علية القوم في أوساط سيدني ومثقفيها أثرًا عليها أيضًا . عندما التقيا للمرة الأولى منذ سنتين ، كانت هي عارضة معروفة أيضًا ، كان أجرها مرتفعاً جدًا . . لذا لم تكن بحاجة الى نفوذه ونجاحه حتى تجد فرصًا مهمة فكان أن فشلت معها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الخدع العادية ، وابقته بعيدًا عنها ، الى أن أثبت مؤخرًا أن نواياه جادة .

وضع ونالد المجلة تحت ابطه وعاد الى جانبها ، ليلف ذراعه حول خصرها :

– فلنستلم حقائبنا ولنفتش عن شركة الطيران الخاصة ! أم تفضلين الراحة واحتساء القهوة أولاً ؟

– لا أريد القهوة . . . شكرًا لك . فأمامنا رحلة طويلة ، ولن أخاطر في الوصول بعد

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الظلام ، فالمدرج في المزرعة ليس مجهزًا بالانوار للهبوط الليلى .

– أمامنا وقت طويل هل أنت . هل أنت متأكدة أنك لا تودين الاتصال بوالديك لتعلميهم بخبر قدومنا ؟

رفضت الاقتراح بهزة حازمة من رأسها :

– لا . . . بل أرغب في مفاجأتهما .

لكن ارتفاع حاجبيه لم يشر الى موافقته .

– قد يحتاجون الى تحضير ما قبل وصولنا .

ولا أظن أن من اللائق أن نفد عليهما دون تحذيرهما مسبقًا .

ضحكت شارلوت :

– ما لا تفهمه دونالد ، أننا في هذا الجزء من البلاد نبقى متهيئين دائمًا . . والدتي ليست بحاجة الى الاستعداد لاستقبال احد ، فهي دائماً على أهبة الاستعداد. ثم أنني لا أريد

www.riwaya.ga مكتبة رواية

السجاد الأحمر لاستقبالي . . أريد الوصول الى منزلي دون عزف أبواق .

– هذا ما تفكرين فيه أنت لأنك ابنة الدار ، لكن ماذا بشأني ؟ ما هو الانطباع الذي سأتركه عليهما كصهر المستقبل ؟

– لا أريدهما أن يعرفا أنني آتيه مع خطيبي . . حين يلقاك أبي وأمي للمرة الأولى ، أريد أن يستقبلاك قبل أن يتخذا أفكارًا مسبقة عنك .

ابتسم دونالد ملء فيه :

– تقصدين أنك لا تريدين منهما اصدار أحكام مسبقة على من سيسرق منهما ابنتهما .

– أعرف أنهما سيحبانك . . بل هما فى شرق الى رؤية أحفادهما .

تمتم بأرتباك :

– لعلهما ليسا في شوق غامر .

لكنه حين رأى نظرتها المستفهمة فسر كلامه :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أريدك لي فترة طويلة .

سخر منه لمعان عينيها الزرقاوين :

– إن لم أنس ما تعلمته في طفولتي الريفية .
فَهذَه الامور تتطلب وقتًا .

– وهذا ما سمعته كذلك .

غضت طرفها الى خاتم الخطوبة الماسي
المنعكسة ألوانه كقوس قزح :

– آه . . ليتك لم تبالغ فى تقديم خاتم كهذا ،
إنه ضخم جدًا حتى يكاد يبدو غير معقول .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أنا لم أدع من قبل التواضع . . . لم أسألك من قبل

ما هو رأى والداك بعملك .

– إنهما فخوران بي طبعًا . فأنا في نظرهما لا أقوم بما هو خاطىء .

– إذن لماذا أنت قلقة من اكتشاف أمري قبل مواجهتهما ؟

– لأنهما سيسألان أين ن بعد الزواج ، وسأضطر للقول لهما في سيدني ، وهي مكان

رهيب بالنسبة لهما . . ولم أستطع بعد إقناعهما بالعكس .

– ألم تذكري أنهما زاراك في المدينة ؟

– أجل . . أراهما عادة مرتين أو ثلاثة قي السنة ، لكن هذه هي المرة الأولى التى أزورهما فيها منذ رحيلي قبل ست سنوات ، ووجود برايان يسهل عليهما زيارتي .

– برايان ؟ من هو برايان ؟

– برايان إلسوب هو مدير مزرعة أبي .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وصلا في تلك اللحظة الى منطقة استلام الحقائب في المطار فأشارت بيدها :

– ها هي العربة تحمل حقائبنا من الطائرة .

حين استلما الحقائب أشار دونالد الى حمال قادهما الى الباب حيث كانت طائرة صغيرة تنظرهما حتى تقلهما الى مزرعة غراي . بينما كانا يصعدان كان الطيار يضع الحقائب في الخلف .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

نظر الطيار الى راكبيه من فوق كتفه وهو يجلس الى المقود :

– جاهزان ؟

اجابت شارلوت :

– أجل .

لكن دونالد اكتفى بهز رأسه .

كانت الدقائق التالية غارقة بأصوات المحركات ، وبتحرك الاجنحة . . ولم يلبث أن طلب

الطيار الأذن بالانطلاق ، فأتته تعليمات التحرك عبر الراديو .

ما أن أقلعت الطائرة عن الارض ، عند نهاية الممر حتى أحست شارلوت بالاثارة التي تحس بها عادة عند الارتفاع في الجو . . . سرعان ما اتجهت الطائرة شمالاً فعبرت نهرًا غزيرة مياهه ، ثم طارت نصف ساعة أخرى فوق حقول القمح الممتدة غربًا حتى سفوح الجبال . . بعد ست سنوات من الحياة في مدينة ليس فيها إلا الاسمنت المرتفع ، أما أقرب ما وصلت إليه

www.riwaya.ga مكتبة رواية

من عشب واخضرار فكان حديقة سيدني المتواجدة على منحدرات الجبل البركاني ، وأحيانا كانت تتنزه في الضواحي الشبيهة بالريف ، وأدركت فجأة مدى شوقها الى الاماكن المفتوحة الواسعة في الريف .

عادت الارض ممتدة قطعاً مرقعة ملونة تنتشر في حقول تتدرج ألوانها . أما اخضرار الربيع فكان يلوي المراعي حيث الافق ممتد الى ما لا نهاية . وكانت السماء زرقاء صافية لا تشوبها سوى غيمة بيضاء هنا وأخرى هناك .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

صوت المحرك ، جعل الحديث صعباً لكن دونالد حاول مشيرًا الى الارض الرائعة الجمال القابعة تحتهم .

– –إنها رتيبة مملة . أليست كذلك ؟

– المباني الاسمنتية . . . هي المملة . . . فالارض الأم تغير ثيابها دائمًا . انظر إننا نطير فوق النهر . . أليس رائعًا ؟

– إن كنت ترين أنه نهر فهو نهر . . مازلت أنتظر رؤية دوار الشمس . . يقال إنه يكثر في هذه المنطقة زراعته .

– أجل ، إلا أنها لا تزرع سنويًا . . وأنا سعيدة لأنك لم تخلط بينها وبين زراعة الذرة .

بقيت صامتة تراقب تغيير المعالم التي تطير فوقها الطائرة الصغيرة ، التي كانت تقترب باتجاه الجبال ، الى حيث تقع مزرعة غراي قرب السفوح الممتدة الى السهل والتي يقطعها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

نهر صغير تصب فيه المياه ، من مقابعها في الجبال . وتنهدت ملتفتة الى دونالد الذي كان يركز نظره عليها :

– أنا سعيدة باسبوعي العطلة هذه . . . من الرائع العودة الى الموطن فترة . أواثق أنك لن تستطيع البقاء الى ما بعد نهاية الاسبوع ؟

– يجب أن أكون فى سيدني يوم الثلاثاء ، إنها الأعمال عزيزتي ثم أننى أفضل ادخار العطلة لأقضي شهر عسل طويل معك ، بدل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أمضاءه ووالداك يراقباننا ، فهما يبدوان لي رجعي التفكير .

– أجل . . . لكنهما لطيفان ، وستحبهما .

ألا يمكن إن تبقى يومين آخرين ؟

– أخشى أنني لن استطيع . . قد تكون إقامتي مسلية ، لكن الحقول والمراعي لا تعجبني كثيرًا ، نظرة إليها من الطائرة تكفي .

– قد يرغب والدي في أن يريك سير العمل . إنه فخور جداً بما انجزته عائلته .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

رد عليها ساخرًا :

– أعدك بأن أبدي له الاهتام .

تغيير صوت محرك الطائرة أعلمها أنها تهبط .

. فاسندت نفسها الى مقعدها ، تتبادل

النظرات مع دونالد بعد أن التفت الطيار

ليقول لهما :

– سنصل الى المدرج قريبًا .

تطلعت شارلوت من النافذة ، بعد تأكدها من

ثبات حزام الامان وأحست أنهم يطيرون فعلاً

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فوق مساحات مزرغة غراي المترامية . سمعت الطيار يسأل :

– أتعرفين نوعية هذا المدرج الخاص ؟

– إنه مدرج عشبي ، لكنه دون شك جاهز معدَّ كل الاعداد ، فوالدي يصرّ دومًا على الاهتمام به . ستجده على ذلك المسطح خلف الابنية التي ستراها الى يسارك .

بدا المنزل الرئيسي أمامهم بناء أبيض . مؤلف من طابقين وكأنه حارس يقظ على المسطح

الارضي ، أما أغصان الاشجار المرتفعة التي تحيط به فبدت عارية من الجو ، لكن سجادة جديدة خضراء من العشب غمرت الارض . في حين ان العلف كُوِّمَ أكوامًا أكوامًا قرب المخازن والحظائر التي سرحت منها قطعان الابقار الحمراء وانتشرت بقعًا حول مباني المزرعة .

مرَّ الطيار بحذر فوق المدرج ليتفحص حالته . وأحست شارلوت بالفخر حين ثبت صحة ما قالته . فالمدرج العشبي كان خالياً من أي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

شائبة وفي حالة ممتازة ، فالعشبي شذب حديثًا وكأنه على أهبة الاستعداد لاستقبالهم . كيس الريح المخروطي فوق السارية على مؤخرة المدرج لم يكد يتحرك . . . مرَّت الطائرة ثانية فوق المباني ، فبرزت نجمة رمادية مدهونة فوق سطح الحظيرة الكبرى ، وهي رمز المزرعة . فاستعد الطيار للهبوط في دورته الثانية .

قال دونالد والطائرة على وشك الهبوط :

– المسافة بعيدة من المدرج الى المنزل .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– سيسمع أحدهم الطائرة ويأتي للاستفسار ، وعندها نجد وسيلة نقل .

أنزل الطيار بهدوء طائرته التي حطت بأقل سرعة ممكنة ، وقبل أن يصل الى نهاية الممر غيَّر اتجاهها متقدمًا الى الحظيرة حتى أطفأ المحرك . ما إن خرج الطيار من مقعده لمساعدة راكبيه ، حتى تقدمت شاحنة صغيرة وقفت أمام المبنى وأطل منها رجل طويل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يرتدي بنطلون جينزء وقبعة رعاة ، وسترة جينز ، وقال بصوت خفيض ثابت ، على شكل طلب مهذب إما بتفسير مقصدهم أو الرحيل :

– لقد حططت في مدرج خاص . وهناك الكثير من المدرجات التابعة للدولة في المنطقة ، قد أرشدك إليها إلا إذا كنت تعانى من مشاكل ميكانيكية .

فرد الطيار باللهجة نفسها :

– أحمل ركابًا للمزرعة .

تساءل الرجل دهشًا :

– ركاب ؟

في تلك اللحظة خرجت شارلوت من باب الطائرة الى الجناح ، وأطلقت ضحكة مفعمة بالسعادة ، وقالت ساخرة :

– توقف عن محاولة طردي قبل أن أجد الوقت لأطأ أرض موطني برايان .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قوبلت بالصمت وهي تنزل الدرجات من الجناح الى الارض ، حين استوت واقفة فوق عشب المزرعة ، رفعت بصرها الى الرجل الواقف قرب الجناح ، إنه برايان السوب ، مدير مزرعة أبيها .

رغم اعتيادها على الوقوف في مواجهة رجال أطول منها بقليل ، إلا إنها اضطرت لرفع رأسها لتلتقي بنظرته ، إنه وجه نسيت ملامحه تقريبًا خلال ست سنوات . . . إنه في

الثلاثينات من عمره لوحت أشعة الشمس بشرته حتى الاسمرار الشديد ، وتركت خطوطًا أقل اسمرارا على زاويتي العينين لتحديقه الدائم في الشمس . برايان ذو شعر حالك يقبع الآن تحت قبعة مغبَّرة .

كانت نظرته الثابتة تخترقها ، تتفحصها . تقيِّم تغيير ست سنوات . وكان هناك شيء جريء صريح في طريقة تأمله ، جعلها تضطرب .

فقالت لتنهي الصمت :

– ألن تقول شيئًا برايان ؟

حرك فمه بالطريقة المألوفة لديها . ثم قال ببرود :

– آن لك أن تعودي !

وغمرها الشعور الحار بالعودة ، برايان لم يكن غريباً عنها ، إنه وجه صديق قديم . . شخص كان يؤنبها دون رحمة على تواعدها مع الشبان العديدين وسخر منها لأنها طمحت أن تكون عارضة شهيرة ، لكنه كان أيضًا من

يصغي دائمًا الى مشاكلها ، مهما كانت كبيرة أو صغيرة .

وضحكت تجتاز المسافة بينهما :

– أهذه طريقة مناسبة لقول «أهلاً بك» بعد ست سنوات ؟

رمت ذراعيها حول عنقه ، فرفعت نفسها على أطراف أصابع قدميها وقبلته فامتدت يداه بشكل آلى وأمسكتا خصرها ، لكن حجم يديه كاد يغطي قفصها الصدري . . لم

تكد تلامس شفتاها طرف خده حتى ضغطت يداه بشدة عليها ، يكاد يحطم بهما عظامها ، فأطلقت . شهقة خفيفة من الألم ، وهبط كعبيها الى الارض . حين تركها برايان ، وقد فقكد وجهه كل تعبير .

أوشكت على أن تسأله عن سبب توتره حين تذكرت أنها لم تعد الآن في سيدنى حيث يتعانق الناس ترحيبًا بعضهم بعضًا ، فتربية برايان المحافظه لا تسمح بمثل هذا اللقاء . فابتسمت محاولة نسيان ما جرى .

ارتدت خطوة الى الوراء ، ثم استدارت تمد يدها لتتأبط ذراع دونالد :

– برايان ، أريدك أن تلتقي بدونالد بيدل . . خطيبي .

اعتمت نظرة برايان وضاقت حدقتاه بنظرة حادة .

– دونالد ، هذا برايان إلسوب مدير مزرعة غراي .

فقال دونالد كاذبًا :

– تسرني رؤيتك سيد إلسوب ، لطالما حدثتني شارلوت عنك .

ومد يده ليصافح برايان ، لكن الاخير كان قد استدار لينظر الى شارلوت ، التي لم تدر ما إذا كان يتجاهل اليد الممدودة إليه عن عمد أم أنه لم يلحظها . لكنها يومًا لم تستطع قراءة تعابير وجهه ، أما الآن فقد اعتلته نظرة سوداء غامضة :

– أعتقد أنه سبب قرار عودتك أخيرًا .

– أنه سبب عودتى الآن ، لأنه تقدم خاطبًا منذ اسبوع ومن الطبيعي أن أرغب فى أن يقابله والدي .

قاطعهما دونالد شارحًا :

– حاولت اقناعها بالاتصال لإعلامهما بموعد وصولنا . . لكنها أصرت على مفاجأتهما . . أرجو أن يكونا هنا . هل سافرا الى مكان ما لقضاء نهاية الاسبوع ؟

رد عليه برايان بحدة واقتضاب :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– لا ، إنهما هنا .

فقالت شارلوت متحديه سبب توترها من تصرفاته :

– ألن تهنئنا ؟

– أهنئكما .

والتفت الى خاتم الخطوبة الضخم :

– لا ترتدي هذا أمام الحيوانات فقد يخيفهم .

وقال الطيار من خلفهم :

– أين تودون أن أضع الحقائب ؟

تجاوز برايان شارلوت ودونالد ليعتني بأمر الحقائب .

– سنضعها في مؤخرة الشاحنة .

مد يدًا الى أكبر الحقائب ، ثم أخرى الى حقيبة تشبه الأولى ، لكنه التفت فجأة ليرى دونالد مايزال واقفًا حيث هو قرب شارلوت ، دون أن يتحرك للمساعدة . . فعدل عن رأيه

www.riwaya.ga مكتبة رواية

واختار حقيبة صغيرة أخف وزنًا ، وقال مشيراً برأسه الى الحقيبة الثقيلة :

– احمل هذه سيد بيدل .

احست شارلوت بانتفاضة دونالد وسخطه . بعد أن تحرك ليحمل الحقيبة ، شدت على شفتيها بقوة خاصة حين التقت عيناها عيني برايان الساخرتين .

كانت تعرف تمامًا ما يجري . . دونالد معتاد طوال حياته على أن يقوم غيره بالعمل

الصعب . لذا كان من الطبيعي أن يتوقع من الطيار وبرايان حمل الحقائب .

من جهة أخرى . . برايان ليس بالعامل المأجور . . إنه مدير المزرعة ، صاحب السلطة الكاملة . ولا يحمل حقائب أحد ولو كان ضيفًا . إنه ند لدونالد ، مستعد لمد يد العون لكن لا للعمل له .

لكن ما أغضب شارلوت هو الطريقة التي أكد فيها برايان وجهة نظره . كان باستطاعته

الوصول الى غايته مع شيء من اللطف ، البعيد عن الفظاظة . . فلو استخدم كلمسات ودية ، لما انزعج دونالد ، ولربما اعتذر عن تلكؤه . وها قد حصل شرخ بين الرجلين ، تلوم برايان عليه ، فهي تعلم أنه قادر على أن يكون أكثر تسامحًا .

جلست في مقعد الشاحنة الصغيرة الأمامي بين الرجلين . حين جلس برايان خلف المقود نظر ساخطًا الى يديهما المشابكتين ولاحظت شارلوت كيف اشتد فكاه .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– من أين أنت سيد بيدل ؟ سيدنى ؟ (سأل بحنق) .

– أجل . . من سيدنى .

– وماذا تعمل ؟

– لدي عدة أعمال . . تأمينات ، استثمارات أملاك . . كما أعمل في البورصة ، وفي كتابة القصص .

– إذن لن تجد صعوبة في تحمل مسؤولية أخرى كمسؤولية الزوجة .

رد دونالد بعجرفة صمّاء :

– أشك في هذا . فنحن سنعيش كشخص واحد ، وهذا يعني أنه لن يكون علينا دفع أجر شقتين .

– أتعني أنكما لا تعيشان الآن معًا ؟

ردت عليه شارلوت وقد احمرت وجنتاها حين نظر إليها

متساءلاً :

– لا . . نحن لا نعيش في منزل واحد .

وانبرى دونالد يدافع عنها :

– أظنك لا تعرف شيئًا عن شارلوت سيد

إلسوب .

– أظنك أنت لا تعرف شارلي جيدًا .

اختصر اسمها بعذوبة ثم ومضت عيناه

السوداوان بوميض باطني سرى لم يكن خافيًا

عن دونالد .

- كنا دائما نطلب منها التعقل قائلين لها : « شارلي كوني عاقلة » حتى بات قولنا هذا نداء مألوفًا وغالبًا ما كان توسلاً .

وهذا صحيح ، لكن ليس كما يلمح إليه برايان ، كانت تحب الاستكشاف ، فضولية ، تركب جوادها الى أمكنة بعيدة متجاوزة حدها الطبيعي . كانت جريئة لا متوحشة .

أمامهم مباشرة أطلَّ عليهم المنزل ، منزل طفولتها . كانت أغصان الاشجار فوقه

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مكسوّة بالبراعم ، فالربيع على بعد أيام قبل أن تزذان الطبيعة بثوبها الأخضر .

أوقف برايان الشاحنة عند رأس ممر حجري يقود الى المنزل . ثم وجه سؤال الى دونالد وهو يخرج عن السيارة :

– كم تنوي البقاء هنا ؟

– قد اضطر الى السفر يوم الاثنين . . أما شارلوت فستمكث اسبوعين .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

دون أن يضطر لسماع أي تلميح ، تقدم دونالد الى الخلف ليحمل حقيبتين . دون وجود الطيار اضطرت شارلوت للمساعدة :

– سأحمل بعضًا منها .

فاعطاها برايان حقيبتين صغيرتين ، قبل أن يردف :

– ما هما الاسبوعان بالمقارنة مع غياب ست سنوات . ماذا تمثل هذه العطلة ؟ يومان ونصف لكل سنة غياب ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– كنت محظوظة لتمكني من الحصول على هذه الاجازة .

ابتسم دونالد ليقول متفاخرًا :

– هذا الوجه مطلوب جدًا .

لم يبدُ على برايان التأثر بكلامه هذا :

–لا أظن أن العالم سيينتهي لو استرحت بضعة أشهر من العمل .

فتمتم دونالد بعجرفة :

– لكن هذا قد يؤثر على مستقبلها العملى .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

هز برايان كتفيه :

– وإن يكن ، فهي ستتزوجك . أم انك ستتركها تعمل بعد الزواج ؟

نظرت شارلوت الى دونالد الذي ابتسم ، وأجابت :

– طبعًا . . ولماذا لا أعمل ؟

نظر برايان الى دونالد من قمة رأسه الى طرف حذائه اللماع وكأنه يشك في رجولته ، ثم أشاح عنه وجهه وصوت ازدراء ينبعث من

حنجرته . فتعالى الغضب على وجه دونالد . وخطا نحو برايان وكأنما يتحداه فهمست له شارلوت محذرة :

– لا تفعل !

فهى تعلم تمامًا من قد يفوز فى أي عراك بينهما . فدونالد لا يملك العضلات ولا الخبرة الكافية ، وهو رغم تصميمه وعزيمته لن يكون بقساوة برايان . وهذا التباين الشاسع بينهما صدمها . صحيح أن كلاهما طويل وأسمر ،

لكن أحدهما خشن . . والآخر مصقول وكأنه حجر زينة . . أحدهما يرتدي بذلة ثمينة خيطت يدويا وينتعل حذاء جلديًا هو من أنواع الجلد والثاني يرتدي بنطلون جينز كالح وحذاء عالي الساقين مهترىء الكعبين . . . دونالد مثقف محنك ، اجتماعي ، يحسن التصرف فى أى مكان وُجد فيه . أما برايان فيقول ما يفكر فيه دون أن يترك لأحد مجالاً للشك في رأيه . داهية ذكي بشكل فارق ، تعلَّم ما يريده من الحياة ، بينما دونالد تلقى

العلم في أفضل المدارس . . وكلاهما رجل دون أدنى شك . . أحدهما مهذب . مصقول ، بينما الآخر فج غير مصقول . أحست شارلوت بالارتجاف من جرَّاء هذه المقارنة دون أن تعلم السبب .

قبل أن تصل شارلوت الى السلم الذي يفضي الى الشرفة فتح الباب الأمامي وأطل منه والدها ، وهو رجل طويل نحيل ، شعره الأشقر أصبح فضيًا وعلى وجهه نظرة ابتهاج ودهشة :

– رأيتك تتقدمين ولم أصدق ما رأته عيناي !

فضحكت :

– مفاجأة !

التفت ليصيح نحو المنزل :

– جينيفر ! إنها شارلوت ! لقد عادت إلى المنزل .

2– شيطان وقح

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مرت الدقائق التالية في فوضى من الضحك والتقبيل والعناق . كان الجميع يتكلم دفعة واحدة ، حتى لم يستطع أحد فهم ما يقوله الآخر ، ولو لم يلاحظ الوالد وجود دونالد قرب برايان لدامت الفوضى مدة أطول .

– من هو هذا الشاب الذي يرافقك ؟

قبل أن تتاح لها فرصة الرد ، عرَّف عنه برايان :

– إنه خطيبها .

سارعت شارلوت الى ملء الفراغ الذي أحدثه الصمت :

– أمي . . أبي . . هذا دونالد بيدل . . خطيبي . دونالد هذه أمي جنيفر ، وهذا أبي تشارلي غراي .

صضافحهما دونالد ، مظهرا فتنته لأمها :

– الآن فهمت من أين ورثت شارلوت جمالها ، إنه منك سيدة غراى . . هل لى أن أناديك

www.riwaya.ga مكتبة رواية

جينفر ؟ سيدة غراي أسم رسمي جدًا ، ولفظ أمي قد يكون مناسبًا لكنك لا تبدين في عمر أمي ، أو في عمر حماتي .

أضحك الأم الإطراء :

– لن تصل بهذه الطريقة الى شيء معي دونالد . . أرجوك ، كن على سجيتك وناديني جنيفر .

– شكرًا لك جينفر .

نظرت شارلوت صدفة إلى برايان خلال التعارف فلاحظت على وجهه نظرة اشمئزاز ، سرعان ما خبأها خلف قناع متجهم . . تبًا لك ! وهزت الأم رأسها غير مصدقة ، تبتسم وتعض على شفتها :

– لا أستطيع استيعاب الأمر تشارلي ، ابنتنا مخطوبة !

لف تشارلي ذراعه حول كتفي زوجته :

– لا تبكى الآن جينفر .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– لن أبكى . . لكنني سعيدة . أنت تحبينه شارلوت ؟ يا لسؤالي السخيف ! طبعا تحبينه ، وإلا لما رغبت في الزواج منه .

رفعت شارلوت يدها لتظهر خاتم الخطوبة :

– أحبه يا أمي . أترين ؟

– ما أجمله !

وقال والدها ملتفتاً الى دونالد :

– إنه كبير كمصباح كشاف . ستفقرك إذا سمحت لها بأن تنتقي جواهر كهذه .

فابتسم دونالد :

– إنها تستحق .

وصاحت الأم :

– يا إلهي . . ماذا نفعل هنا . . ادخلا . . تشارلي ادخل حقيبة ابنتك .

أثناء دخولهم قال دونالد :

– أرجو ألا يسبب وصولنا فجأة أي مشاكل لكما .

رد عليه برايان بصوت بارد :

– تشارلي وجينيفر لن يقولا لك ولو حدث هذا .

قالت الأم :

– لا تصغى إليه . . نحن لا نعرف متى يكون معنا رفقة ، لذلك نبقى دومًا على استعداد ، ابنتي ، وصهر المستقبل ، لن يسببا لنا مشاكل . . . دعني أعلق لك معطفك دونالد .

بينما كان يخلع المعطف لاحظت شارلوت أن والدها ينظر الى البذلة والى رباط العنق الذي يضعه دونالد . . . في مثل هذه الامكنة الريفية ، يرتدي الناس ثياباً أقل تكلفًا . . . وربطات العنق عادة ، تترك لمناسبات هامة . وتشارلي غراي لم يحب الرسميات يومًا . .

قاطع برايان حبل أفكارها :

– أينها حقائبك شارلوت ؟ سأحملها الى غرفتك .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كلها إلا السمراوان ذات الأربطة البنية .

ثم سألت أمها :

– هل سأنام فى غرفتي القديمة أمي ؟

– أجل يا عزيزتي . . وسنستضيف دونالد في غرفة الجلوس . . لابأس في هذا ؟

– عظيم .

وبدأت جينيفر السير :

– فلندخل غرفة الجلوس . . سأحضر القهوة . . أم تودان شيئًا آخر .

تدخل الوالد :

– أظن أن ما يودانه الآن بعض الراحة والاغتسال بعد رحلتهما الطويلة .

وقفت الأم تعض شفتها :

– بالطبع . . يا لغبائي ! لكن عذري هو سعادتى بعودة ابنتي ، التي لا أريد أن تبتعد عن ناظرى . سأوصلكما إلى غرفتيكما .

ردت شارلوت :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– لا يا أمي . . أعرف الطريق . . لماذا لا تعدين القهوة الآن ؟ سأحب تناول كوب وأظن أن دونالد سيرحب ببعض العصير .

– سأحضر لكما ما تريدان .

التفتت شارلوت الى دونالد :

– من هنا .

وقالت من فوق كتفها لوالديها :

– سننزل بعد وقت قصير .

حمل برايان حقائبها وكان قد قطع أربع درجات قبل أن يشرعا في الصعود . . تحت ثقل الحقائب ، انتفخت عضلات جسده فبانت واضحة تحت القميص . توقف في أعلى الدرج ينتظرهما وقد خلا وجهه الملوح بالشمس من أي تعبير ، وقال لدونالد :

– غرفتك في نهاية الممر سيد بيدل .

– شكرًا لك .

– وثمة حمام مشترك بين غرف الضيوف الخالية حالياً . . جينيفر تحافظ دومًا على المناشف نظيفة .

– أنا واثق بأنها في خير حال .

لكن عينيه أشارتا الى دهشته لأن برايان يعرف أدق الأمور عن المنزل ونظامه ، وابتسم لشارلوت متصلبًا :

– سألقاك تحت في الردهة بعد عشرين دقيقة

.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– عظيم جدًا .

أوقف صوت برايان المنخفض البارد دونالد عن متابعة طريقه الى غرفته .

– على فكرة سيد بيدل . . ربما شارلوت نسيت بعد ست سنوات . لكن أحد ألواح الارض قرب غرفة تشارلي وجينيفر يصدر صريرًا قويًا . يجب أن تتذكر هذا إذا أردت التجول ليلاً ، قاصدًا غرفة شارلوت .

انتفض عصب تحت عين دونالد مظهراً رد فعله الغاضب . . . ومرت لحظات صمت مشحون . . ثم أرتسمت بسمة على شفتيه :

– شكرًا لك سأتذكر هذا .

وتحرك خطوة أخرى ، ليصدر اللوحِ الخشبي تحت ثقله صريراً مرتفعًا فتردد لحظات قبل أن يتابع الطريق .

التفت برايان الى غرفة شارلوت ، التى. كانت تغلي غضبًا وهي تلحق به وتقفل الباب .

النظرة النارية التي رمقته بها لم تثر اهتمامه ، وقالت :

– لو كنت رجلاً ، للكمبتك على فمك يا برايان !

ظهر المرح برهة في عينيه .

– لكن خطيبك لا يشاركك الرأي . . ربما هذا يخبر شيئًا عنه .

ردت بغضب :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– إنه رجل مهذب ، لا يجد ضرورة للتصرف بعنف .

– ربما يعتقد نفسه أرفع مستوى من العنف . وطبعًا ، لو كنت رجلاً يا شارلوت ، لما برز مثل هذا الموقف . حتى بدون النظر الى نوع الجينز الذي ترتدينه ، اعرف أنك لست رجلاً .

أحست بالارتجاف من جرَّاء نظرته المثيرة :

– هذا ليس جينزًا نسائيًا .

– لكنه بالتالي ليس خاصاً بالرجال .

وتجاوزها ليفتح الباب مجددًا استعداداً للخروج فصاحت به :

– تبًا لك ! ليتني لم أعد !

وقف عند الباب ليقول ساخرًا :

– نتفق في هذا ، فلقد بدأت أتمنى أيضًا عدم عودتك .

وأنهى كلامه بإيصاده الباب خلفه .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وضعت حقيبة مساحيق التجميل الصغيرة بغضب على طاولة الزينة وبدأت تفرغ محتوياتها . لكن ما هي إلا لحظات حتى سمعت صوت الباب الخارجي ينفتح وينغلق ، وكاتت النافذة قرب طاولة الزينة تطل على مدخل المنزل الامامي . . . فاندفعت بقوة مجهولة نحو النافذة في الوقت الذي كان فيه برايان يخرج من تحت سقف الشرفة الامامية . . حركاته غير السريعة تشير الى رشاقته غير

العادية بالنسبة لرجل له حجمه . . وهذا ما ذكرها بحيوان وحشى متسلل .

أحست بضيق في تنفسها . . فلم تكن عودتها الى موطنها كما توقعت والفضل يعود الى برايان ومقابلته المزعجة التي رمت بأي شيء آخر . . لماذا ؟ ما الذي حدث ؟

ما الذي حدث لذلك الرباط الخفي الذي جعلها دائماً تحس بالانجذاب إليه ؟ ألم يكن ظاهرًا سوى في مخيلتها ؟ ربما هي من اختلقت

www.riwaya.ga مكتبة رواية

خلال السنوات الست فكرة وجود رباط خاص بينهما . . . فماذا كانت علاقتها ببرايان إذن ؟ لم يكونا صديقين . . فالهوة بين عمريهما تمنع أي صداقة . . ولم يكونا شقيقين ، فهو لم يسمح لها قط بأن ترفع الكلفة معه الى هذا الحد . وجدت أنها غير قادرة على تعريف نوع علاقتهما ، لأنها لم تكن تدري ما هي .

تذكرت أنها في مراهقتها ، اعتبرته فتى أحلامها . لكن ما إن عرف بهذا حى أبعد نفسه عنها

وسحق الحب المراهق الوليد في مهده . حطم الحلم الذي حاولت أن تبنيه بقسوة كانت أقرب الى الظلم . . وبعد تلك التجربة المؤلمة ، لم تعد لارتكاب مثل هذه الهفوة ثانية .

ما الذي يتركه هذا ؟ لم تجد شارلوت أي وصف ملائم . . راحت تراقب بارتباك الجسد الطويل الرقيق المتجة نحو الشاحنة الصغيرة . . شعره أسود حالك ، وعيناه سوداوان ، وملامحه جميعها مألوفة لها ، حتى تلك التي قست لتقفل الباب ضد العالم كله . . مع

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ذلك أحست أنه غريب . إنها لا تعرفه حقا ، ولم تعرفه قط .

عندما سمعت صرير الباب ارتدت عن النافذة تشعر بالذنب وكأنها ضبطت تقوم بشيء لا يجب القيام به . لكن ليس لديها ما تخفيه خاصة عن دونالد الذى دخل غرفتها ، وقد ضاقت عيناه بفضول لارتدادها السريع عن النافذة . حاولت أن تضع واجهة مشرقة على وجهها :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– مرحبًا حبيبي . أوجدت غرفتك على ما يرام ؟

– إنها مريحة . . . أجل .

ودنا من التافذة الى حيث كانت تقف . وأطل على الخارج . نظرت بدورها فرأت أن برايان يتقدم نحو مقعد السائق في الشاحنة حيث توقع ورفع نظره الى نافذتها ، وكان وجهه جهمًا ، فقال دونالد :

– إنه شيطان وقح !

لم تدع شارلوت أنها لم تفهم الى ما يشير ، وبدأت ترتب أدوات التجميل من عطور ومساحيق فوق الطاولة . وتمتمت :

– لو كنت مكانك ، لما تلفظت بهذا أمامه .

ضحك دون مرح :

– لن أتلفظ بها . . لكن هذا لا يمنعني من الاحساس بالسعادة وأنا أتخيل نفسي ألكمه بقبضتين من نحاس في وجهه أو بدس قبضتي في حلقه !

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– لو فكرت قليلاً لحذرتك منه لأنه لا يعرف معنى كلمة لباقة .

– لو حذرتني لتهيأت . . توقعت استجوابًا عن ماضيَّ وعن خططنا المستقبلية من والدك . . لا من مأجور .

– لكنه مأجور بالمعنى العام للكلمة . إنه كأحد المنفذين في مؤسساتك .

أمسك دونالد بكتفيها ليديرها نحوه :

– لم أكن أعرف أنه موضوع حساس بالنسبة لك .

أحست بالتوتر من تحديقه . لكنها لم تعلم سبب توترها هذا ، فهي لا تخفي شيئًا :

– الامر ليس هكذا . لكنني لا أريدك أن ترتكب ما يثير مشاعر الكراهية .

– تعرفينني أكثر من هذا .

– توخ الحذر . . أريد منك أن تترك انطباعًا جيدًا لدى الجميع .

جذبها بطريقة مدروسة الى ذراعيه ، وحتى تعوِّض من

تصرفها ، استكانت بين يديه ، تلين مع عناقه . لكن عندما مد يديه الى قفصها الصدري الذي أمسكه بها برايان حين وصلت أحست بأثر الألم الذي تركته يداه ، فانتفضت ودفعت دونالد عنها ، فأبدى العجب والقلق :

– ضلوعي تؤلمني من السفر .

غطت ابتسامة وجهه وقال :

– لست أدري ما هو الأسوأ . . رفاصات تلك الشاحنة أم الحفر في الطريق ؟

فضحكت :

– ربما الاثنين معًا . فما من شك في أن الشاحنة لا تشبه أبداً سيارتك الكاديلاك .

– كما أن السائق لم يكن صيدلياً كذلك . أين يعيش ؟ في المنزل ؟

– لا . . والدى حوَّل أحد مباني العمال الى منزل لاقامته . . لماذا ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– وكأنه على معرفة حميمة بالمنزل . . يعرف موقع كل غرفة نوم واللوح الذي يعطي الصرير وعلاقته بغرف نوم الضيوف .

– برايان في الواقع فرد من أفراد العائلة تقريبًا . ثم إنه ما من شيء قد يمر دون أن يلاحظه مهما كان تافهًا . لديه ذاكرة خارقة . . . ما إن يدخل غرفة مرة واحدة . حتى يذكر تفاصيلها كلها . . . كلها . . . كل شيء .

– وما سبب معرفته بغرفتك ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– علقت إحدى النوافذ يوماً واحتاج والدي الى مساعدته . . أو ماذا تحسبه دخل ليفعل ؟

وبخها مرحاً :

– هاى . . أعصابك !

– أكره ما كنت تلمح إليه .

وأعرضت عنه لتكمل توضيب ملابسها في الخزانة . . فتفرس فيها دونالد بفضول :

– ولماذا انزعجت عندما أسأت الظن ، معتقدًا أنه كان بينكما علاقة منذ ست سنوات ؟ أهو متزوج ؟

– لا . . إنه غير متزوج ؟

– لماذا انزعجت إذن ؟ لديه تكبر وتفوق وقساوة تروق لبعض النساء ، خاصة المراهقات منهن . . يبدو وكأنه أحد المشاركين في «الروديو» فمن المعقول أنك فكرت فيه .

– إنه أكبر سنًا منى بكثير .

– أكبر بكثير ؟ هو لم يتجاوز السابعة والثلاثين ، وأنت في الثانبة والعشرين . . اثنا عشرة سنة ليست بفارق كبير . الفرق بيننا تسعة ، فإذا كنت تحاولين التلميح الى أنه كبير كأبيك فأخطأت لأن ذلك لن يخفى حتى على طفل .

– أنا . . . اعتقد ربما بدا لي أكبير سنًا لاني كنت أصغر من الآن .

– ربما . . هل ستكملين توضيب ثيابك أم ننزل لننضم لأبويك ؟

– سأنهي التوضيب فيما بعد .

تقدم منها يمسك بخصرها متجنبًا مكان الألم في ضلوعها :

– يجب أن أكون شاكرًا لإلسوب لأنه حذرني من اللوح قرب غرفة والديك ، كنت سأرتبك حقًا لو قبض عليَّ والدك متسللاً الى غرفتك

في منتصف الليل لأختلس نظرة أخيرة إليك وأنت بغلالة النوم .

ارجعت نفسها عته لتجنب عناقه مجددًا .

– دونالد ! (احتجت عابسة) .

– اطمئي يا حبي . . لن أعانقك ، مع أنني أعترف بالاغراء .

تحررت من ذراعيه :

– لا تمزح في أمور كهذه . أريد أن يحبك والداي . . فيكفيني كرههما لأهل المدن .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أعتقد أنهما يفضلان لو أكون «جلفًا»

ريفياً .

ردت عليه الوصف بكبرياء :

– لكنني أنا «جلفاء» ريفية كذلك .

– لكنك أصبحت جلفاء أنيقة جميلة . . .

وستصبحين عنما قريب السيدة دونالد بيدل

، هذا طبعاً بعد موافقة والديك وبركتهم . .

هل لنا أن ننزل لنرى ماذا يمكننا فعله

لنكسب بركتهم تلك .

نحَّت من نفسها حساسيتها التي ولدها وصفه المنتقص من قدر الريفيين ، وربطت ذراعها بذراعه ، وخرجا معًا من الباب الى الممر الخارجى . . بدأت عودتها الى منزل طفولتها خاطئة . . لكنها مصمة على ألا ينتهى اليوم قبل تسوية الأمور .

3– دعوة لا تُرد

لعب تشارلي دور المضيف ، فقدم لشارلوت ما طلبته من قهوة وسأل دونالد :

–ماذا تود أن تشرب دونالد ؟ لدينا عصير بارد ومرطبات .

– بعض الليموناضة الباردة لو سمحت .

– أنت توافقني الاختيار ، سأشرب ما تشرب . . لو كنا نعلم أننا سنحتفل بخطوبة لحضرنا شرابًا خاصًا . . اعذروني دقائق حتى

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أحضر الليموناضة والثلج من البراد ، فهذا ما وُصف لي أيضًا .

سألت شارلوت أمها بعد خروج أبيها :

– ماذا يقصد بـ« وُصف لي » ؟

– حالة قلبه لا تسمح بأن يشرب القهوة أو الشاي ، لذا وصف له الطبيب الليموناضة لتساعد دورته الدموية . . أتصدقين هذا ؟

– وهل حالته خطيرة ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– حين يبلغ المرء مثل عمرنا يجب ألا يصرف النظر عن شيء . لكن لا . . . ما دام تشارلي لا يهمل تعليمات الطبيب فسيعيش حتى المئة . ومن حسن الحظ أن برايان لا يفسح له مجال العمل في ما هو متعب .

– متى اكتشفتم حال قلبه؟ لِمَ لم تخبراني شيئاً ؟

صحيح . . لم نشرح لك الأمر تفصيليًا . . لكننا ذكرنا لك منذ سنتين أنه سيتقاعد طلبًا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

للراحة . وهو لا يحب الكلام عن الموضوع . فلا يسهل عليه الاعتراف بأنه لم يعد الرجل الذي كان . كما أن الامر حقًا ليس خطيرًا كما تظنين وإلا أخبرتك :

أنبأهما وقع أقدام بوشوك وصول الأب فغيرت جينيفر

الموضوع بسرعة .

– ألاحظت الستائر الجديدة شارلوت ، أخيرًا وجدت قماشًا يناسب لون الأرائك .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أجل لاحظت هذا . . كما لاحظت أنك أضفت أشياء أخرى الى مجموعة النقوش الخشبية . هذا النسر وعشه يخطفان الانفاس .

– تريثي حتى تري علبة السيجار الخشبية التي وجدها والدك في مخزن بيع الاشياء القديمة . . . إنها ثمينة يا تشارلي أليست كذلك ؟

– بالنسبة لنا أجل .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– كانت في حالة سيئة ، لكنه أصلح القسم الأكبر منها ووضعها في مكتبته . سنريك إياها لاحقا.

تأملت شارلوت الغرفة بدهشة :

– لقد أجريتما الكثير من التغييرات منذ رحيلي . نعم هي مألوفة ، لكنها مختلفة .

وتحوَّل الحديث الى نقاش عن المنزل ومحتوياته ، وما كان موجوداً فيه وما أضيف إليه وما أزيل منذ ست سنوات . . كل قطعة كانت

تجد لها طريقاً للحديث عنها . وأخيرًا أنهى والدها الحديث بذكر قصة الطاولة الأثرية التي اشتراها ثم اكتشف بعد ذلك أنه لا يمكن ادخالها لأن لا نافذة أو باب يسمحان بدخولها ، انفجر الجميع ضاحكًا ، وقالت جينيفر :

- كما تلاحظ يا دونالد ، أنا وتشارلي نحب الاشياء القديمة ، التي معظمها لا يستحق

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كلمة أثري ، مع ذلك نتعلق بها . . لعلنا لم نضجرك بحديثنا الفارغ .

– أبدًا . . أبدًا .

فضحك الأب .

– ربما لم نضجره . . لكننا دون شك جوّعناه . . متى سيكون العشاء جاهزًا ؟

نظرت الأم الى ساعتها بدهشة :

– لم أنتبه الى مرور الوقت .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فهبت واقفة ولم تلبث أن وقفت شارلوت أيضًا .

– لا . . . ابقي مع دونالد . . . فكل شيء حاضر تقريبًا والمائدة معدةٌّ . . واستطيع تدبير الامور .

– أنا واثقة من هذا . . . لكن أربع أيدٍ . . . .

فتدخل والدها آمرًا :

– اجلسي واطيعي أمك .

فابتسمت وعادت للجلوس بقرب دونالد :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– حاضر يا أبي .

فقال مداعبًا :

– لقد ارتديت خاتمه في يدك وقد تأخر الوقت على ترك الأثر في نفسه بادعائك المهارة في الطهو . . . مازلت تجيدين الطهو ، أليس كذلك ؟ أذكر بعض الوجبات التي حضرتها لنا في البداية . . وكان من حسن الحظ أنك تعلمت بسرعة قبل أن نتسمم جميعًا .

– مازلت أجيده يا أبي . . دعنا من ذكر كوارث الماضي .

فسأل الوالد ساخرًا :

– ألم تعد لك العشاء بعد دونالد ؟

– مرتين أو ثلاثًا . . لكننا نتناول عشاءنا في الخارج غالباً .

– أنا أفضِّل طعام جينيفر على أي شيء يقدمه المطعم . انتظر حتى تتذوق قطعة لحم من يدها . . إنها تذوب تمامًا في فيك . .

جينيفر طاهية ماهرة ، وشارلوت تدربت على يديها .

وقفت أمها في باب غرفة الجلوس :

– تشارلي . . . تعال وكلم برايان . . . يرى أنه سيتطفل علينا إذا انضم إلينا هذا المساء ويصر على أن يتعشى وحده في منزله ، وأنت تعلم أنه لا يعرف كيف يكسر بيضة .

– سأكلمه .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أنه عنيد صعب المرأس أحياناً . إنه بالنسبة لتشارلي كولده وهذا ما تعرفينه يا شارلوت . . . فلماذا يفكر في أنك قد لا ترغبين في وجوده معنا على العشاء ؟

نعم هي لا تنكر أنها لا تريده معهم ، لكنها لن تعترف لأمها بهذا فبقيت صامتة ، تعلم أن أمها لا تتوقع الرد . . بينما كانت تنظر بطرف عينها الى دونالد لاحظت أن على وجهه القسمات ذاتها . . لكنه رفع يدها ليقبلها دليل تفهم الموقف .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

في تلك اللحظه استدارت الأم فشاهدت ما يجري دون فهم معناه ، وقالت :

– ربما إذا كلمته أنت يا شارلوت ، قد يعدل عن فكرته السخيفة .

– أوه . . . أمي . . . أنا حقًا . . .

لكن دونالد قاطعها :

– ربما هي فكرة جيدة حبيبتي . لا نريد أن يحس برايان بأننا لا نريده معنا .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تساءلت نظرتها الدهشة عن مدى تعقله ، لكن بدا واضحًا لها أنه ما عاد يعتبر برايان خطرًا . وهذا بالطبع صحيح . . تفكيرها هذا أرسل قشعريرة انذار في عمودها الفقري ، فسعت جاهدة لتجاهل هذه القشعريرة . .

قالت وهي تقف :

– سأرى إذا كنت أستطيع اقناعه بالبقاء .

قبل أن تصل الى المطبخ سمعت لهجة والدها المسترضية لكنها لم تفهم ما يقول . . في

www.riwaya.ga مكتبة رواية

اللحظة التي فتحت فيها الباب رأت قبضة تهوي على الطاولة التي اهتز ما فوقها من صحون من شدة وقعها .

– تبًا تشارلي ! أنت لا تعرف بما أشعر !

غضبه العاطفي هذا خطف من شارلوت أنفاسها ، فقالت ضاحكة :

– لو كسرت صحنًا من صحون أمي ، لأخبرتك بما ستشعر .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

التفت رأسه بحدة نحوها ، كاشفًا غضبه ثانية من الزمن وكان على وجه أبيها نظرة قلق حين تطلعت إليه . وسألت :

– هل أقنعته بتناول العشاء معنا ؟

رد عليها برايان متحدياً :

– أهذا ما تفعلينه هنا ؟ ضم قوة اقناعك الى قوى تشارلى ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

نظر إليها بحدة فرغبت في اشاحة بصرها عنه ، لكنها لم تستطع التحرر من الاغراء الغريب لرد نظرته بأخرى مثلها :

– أجل . . أنت تعلم جيدًا أنهما يريدان منك أن تتعشى معنا .

– وماذا عنك . . . وعن خطيبك؟

تردده دل على أن هناك وصفاً آخر شاء أن يستخدمه . . لكن شارلوت ابتسمت ابتسامة عذبة كالعسل ، وقالت كاذبة :

- نريد منك أن تنضم إلينا كذلك .

ابتسم ابتسامة ساخرة ، أظهرت تعبيرًا هازئاً :

- ومن أنا لأرفض ما تريده شارلوت غراي ؟

- إذن ستبقى ؟

أطلق تنهيدة استسلام ثم استدار ليضع كلتا يديه على الطاولة المثبتة قرب المغسلة ، وكأنه يستند إليهما متعبًا :

- حسنًا . . أحتاج بضع دقائق حتى أنظف نفسي .

قالت فى فورة عطف عليه :

– هل أحضر لك شرابًا باردُا من البراد برايان ؟

فنظر الى والدها ضاحكًا :

– ربما هذا هو الحل تشارلي . .

والتفت إليها :

– لا . . شكرًا لك . سأاستخدم المغسلة في المؤخرة لأنظف نفسي . قولي لجينيفر إنني سأكون جاهزًا حالما يجهز العشاء .

حارت بأمره . . كل شيء فيه يحيِّرها . .

حدقت في الرجل الذي ظنت أنها تعرفه حتى حجبه باب غرفة المغسلة عن ناظريها .

فارتدت نظرتها المرتبكة الى أبيها ،

– ماذا دهي برايان يا أبي ؟ ما خطبه ؟

لم يرد عليها مباشرة بل أخذ نفسا عميقًا مفكرًا ، وتقدم إليها ليلف ذراعه حول كتفيها ويضمها إليه للحظات ، وابتسامة حزينة على فيه .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– لقد كان هذا اليوم عليه عصيبًا ، سبب له إحباطًا . يحدث هذا عادة عندما لا يستطيع الرجل منع أمر ما. لقد مر بنا شتاءً طويلاً قارسًا ، وربيعًا جافًا حتى الآن . وهذا يصيب أقوى الرجال بالاحباط .

– ربما هذا يفسر سبب فظاظته وسرعة غضبه . . لكن هذا ليس عذرا لأخلاقه السيئة .

– لعلك نظرًا للظروف تتفهمينه وتتجاوزين طبعه السيء . . خاصة وأنك سعيدة بعد أن

نلت ما تريدين . . . وذلك الرجل ينتظرك فى غرفة الجلوس . . ومن الافضل . الاسراع لانقاذه من أمك قبل أن تشرع باخباره تلك القصص المتعلقة بطفولتك !

كانت تلك البسمة الحزينة ما تزال على وجهه ، لكنه استطاع كعادته انتزاع بسمة منها ، فقالت وهي تطبع قبلة على خده :

– أحبك أبي . . ما رأيك بدونالد ؟ هل أعجبك ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– يبدو رجلاً ناجحًا جداباً . . لكن الاهم هو سعادتك . فهذا كل ما نريده أنا وأمك . نريد لك السعادة . . . فهل أنت سعيدة ؟

– أجل . . انا سعيدة جدًا .

– هذا هو المهم .

دخلا غرفة الجلوس معًا ، تبرق عيناها سعادة لأن والدها قَبِل بسرعة من اختارته زوجًا لها . فدونالد يعيش في عالم يختلف عن العالم الذي يعرفه والدها وقد ظنت أنه سيتردد قبل

الموافقة عليه . ثم لم تلبث أن انصب اهتمامها على الرجل الذي كان يبتسم بحرارة لها ، حتى أنها لم تلاحظ نظرة القلق التي علت وجه أمها التي قاطعت النظرات مسائلة :

– هل تحدثت الى برايان ؟ هل سيبقى على العشاء ؟

رد الأب :

– اجل . . سيبقى . . أقنعته أنا وشارلوت

– وما كانت مشكلته إذن ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بينما سألت الأم هذا السؤال وقف دونالد ليدنو من شارلوت هامسا في أذنها :

– هل استخدمت بسمتك الساحرة الشهيرة لاقناعه ؟

ردت هامسة :

– ودعوة خاصة له مني ومنك .

أجاب شارلي عن سؤال زوجته .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– كان يوم برايان شاقًا لذا لم يرغب في أن يؤثر مزاجه العكر على جو الاحتفال بشارلوت .

نظرت الأم ناحية المطبخ :

– وأين هو الآن ؟

– فى غرفة المغسلة ينظف نفسه . قال إنه لن يتأخر ، وعليك تقديم العشاء متى شئت .

أسرعت جينيفر الى المطبخ قائلة :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– إذن ، من الافضل أن أضع الطعام على الطاولة .

نظر دونالد الى صورته في المراة المعلقة على الجدار المواجه له . . المرآة ذات اطار خشبي محفور مزخرف إنها إرث أحضره أول فرد من أفراد عائلة غراى الذى استوطن أستراليا وهذا ما جعلهم يعرضونها في غرفة الجلوس . قال وهو يسوي ربطة عنقه قبل أن يدخلها بين ثنايا السترة ليرى النتيجة :

– ربما كان علي تغيير قميصي بآخر نظيف .

فردت شارلوت :

– لا . . لا لزوم لهذا .

استرغى تعليقه اهتمام أبيها ، الذى علت وجهه نظرة ساخرة . لقد سبق أن شرحت شارلوت لدونالد كره والديها للرسميات ، لكن عادة التأنق عشاءً متأصلة فيه . وهو في الواقع كثير الوسوسة بشأن مظهره .

سمعت والدها يعلِّق :

– نادرًا ما يكون لدينا سبب يدفعتنا الى أرتداء بذلة وربطة عنق هنا . . عدا أيام الأحد حين نذهب الى الكنيسة .

ابتعد دونالد عن المرآة ، وعلى وجهه نظرة عدم رضى :

– آداب اللباس في المدينة ليست مريحة هكذا .

لكن حياة المدينة ليست بهذه الصرامة ، وكان بإمكان شارلوت أن تعدد له اسماء مطاعم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فاخرة ونوادي ليلية لا تطلب من الناس مثل هذه الرسميات ، كما أن عدة أناس تعرفهم يرتدون ثيابًا بسيطة . لكن ما الفائدة من هذا وهو لا يذهب الى مثل هذه الاماكن ، ولا يجامل أولئك الناس ؟ فبقيت صامتة .

بعد دقائق ، طلبت أمها منهم الدخول الى غرفة الطعام . جعل وجود برايان منفردًا ترتيب المقاعد صعبًا . . فكان والداها على طرفي الطاولة ، وشارلوت ودونالد الى جانب

www.riwaya.ga مكتبة رواية

واحد فى مواجهة برايان . . . ترتيب غير مريح لكن لا بديل عنه .

مررت جينيفر الحليب الرائب والبطاطا المهروسة بينما أخذ زوجها يقطع شرائح اللحم . وسألت :

– منذ متى كان تعارفكما ؟ ذكرتك شارلوت في رسائلها ، كما ذكرتك حين كنا نتحدث هاتفيًا . . . لكن . . .

رد دونالد :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– التقينا منذ سنتين .

بدت الدهشة على الأم :

– إنها لمدة طويلة !

ضحكت شارلوت :

– لم تكد تكون معرفتنا زوبعة غزل .

رفعت نظرها صدفة فالتقت بعينين قاسيتين سوداوين جعلتاها تحس بالتقلص في عنق معدتها ، فخمدت ضحكتها ، لكنها جاهدت لتحافظ على الابتسامة . قال دونالد للأم :

– كانت مراوغة جدًا .

– وكان هو مصممًا .

– كنت آسف لأننى لم ألتق بكما خلال زيارتكما لشارلوت . كنت لسوء الحظ مرتبطًا بالتزامات أخرى .

فقال الأب :

– لو كنا نشك في أن ما بينكما علاقة عميقة لما فوجئنا اليوم بوصولك .

وسألت الأم :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– كم ستمكث هنا ؟ لعلك على غير عجل من أمرك .

رد دونالد :

– عليَّ الرحيل يوم الاثنين .

وأردف برايان عنه الحديث :

– لكن شارلوت ستبقى اسبوعين .

كان قوله هذا هو المشاركة اليتيمة في الحديث الذي شابه بعض الهزء ، وكأنه يلمح الى أنها تتوقع منهم الشعور بالحفاوة لبقائها هذه المدة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

. . . لكن يبدو أنها الوحيدة التي لاحظت هذه التلميحات المريرة . إذ صاحت أمها بإثارة :

– اسبوعين ! ما أروع ما سيكونان ! سيكون أمامنا وقت كافٍ لوضع خطط الزفاف . . هل حددتما اليوم بعد ؟

ردت شارلوت :

– لا . . . ليس بعد .

وقال دونالد :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– قريبًا . . فبعد طول تعارفنا لا أحسبنا نحتاج الى خطوبة طويلة الامد .

قالت الأم وهي تمرر طبق اللحم الى برايان :

– ستكونين أجمل عروس فى حزيران ، وهذا يمهلنا شهرين . لا يكاد يبدو أن الوقت سيسمح لنا بطبع بطاقات الدعوة . . وهناك الكاهن برايتن الذي سنسأله ليحجز لنا مكانًا في الكنيسة .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بدأت جينيفر تذكر الترتيبات المسبقة التي يجب القيام بها ، وبدا لها أنها لم تستشر ابنتها بشأن بعض الأمور الأساسية فسألتها :

- أتخططان لزواج كنسي ؟

ترددت شارلوت قليلاً ، وهى تنظر الى دونالد تحاول جاهدة تجاهل النظرة الحادة من الرجل الجالس قبالتها ، ثم قالت :

- أجل .

- وستتزوجان هنا . . أليس كذلك ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فاعترفت شارلوت :

– في الواقع كنا نفكر في عقد الزواج في سيدني .

احتجت الأم :

– لكن أصدقاءنا وعائلتنا هنا .

فقاطعها شارلي بصوت هادىء :

– هيا يا جينيفر . . إنه زواجهما ، ويجب أن تتذكري أن لهما العديد من الاصدقاء في سيدني هذا عدا عائلة دونالد .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أعتقد أنك على حق . لكنني تخيلت دومًا ابنتي تسير فى ممر الكنيسة حيث عُمّدِت . . وثمة تفاصيل لها للتحضير للعرس ، الزهور ، قالب الحلوى تحضير الثوب ، وحفل الاستقبال ، الموسيقى . . كيف ستتمكنان من تحضير هذا كله وشارلوت مشغولة بعملها ؟

قال دونالد :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– يمكننا استئجار من يقوم بهذه الترتيبات جميعها . . ثمة مؤسسات مختصة تحضر كل شيء ، حتى أدق التفاصيل .

طبيعة الأم الصريحة تدفقت :

– لكن هذه الامور شخصية ! جزء كبير من لذة التحضير للعرس هو الجري وراء أشياء صغيرة ، مثل المحارم ، وأكواب الشراب ، أو الأسراع الى المطبعة لتصحيح خطأ في كتابة اسم أحد الضيوف . هذا كله يجعل لذلك

اليوم اثارة محددة . أما المراسم نفسها فلا تهم .

فقال زوجها مازحًا :

– بعد طول سنين عرفت بما كانت تشعر يوم زفافنا .

– أوه . . تشارلي . . . تعلم أنني لم أقصد هذا !

فتابع مزاحه :

– ما تعنينه ، إذا قررتما الزواج في سيدني ، فسيضطر والدا العروس للانتقال الى هناك للإشراف على كل شيء .

ضحكت شارلوت :

– هذه فكرة رائعة يا أمي . وهذا سيوفر علينا اجرة اتصالات بعيدة المدى من سيدني الى هنا .

تمسكت الأم بالاقتراح بحماسة :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

- لِمَ لا تشارلي ؟ بامكان برايان الاشراف على المزرعة في غيابنا .

نظرات شارلوت متسائلة الى برايان ، لكنه كان مطاطىء الرأس ينظر الى طبقه ، وقد ارتجفت عضلة فكه ، وقال بحدة :

- هذا صحيح جينيفر . . . سأشرف على كل شيء .

فقالت العجوز :

– اتفقنا إذن . حين تعودين الى سيدني شارلوت ابحثي عن شقة صغيرة لنا حتى نستأجرها شهرًا أو شهرين .

– لا حاجة الى هذا ، فزميلتي ستترك الشقة في نهاية هذا الشهر ، لأن المؤسسة التي تعمل فيها ستنقل مقرها وهذا يعني أن بامكانكما مشاطرتي الشقة .

كان كل شيء يتم بسهولة وكأنه مقدر له هذا . . وقالت الأم بحماس :

– هذا رائع . أثناء وجودك معنا ، سنكتب لائحة باسماء الذين سندعوهم للزفاف .

سأل الوالد :

– ما زال الوقت باكرًا على هذا !

– لكنه أفضل من ترك الامور حتى اللحظة الأخيرة . . هل فتشتما عن مكان تسكنان فيه بعد الزفاف ؟

ردت شارلوت :

– لن نفتش . . فلشقة دونالد موقع ممتاز وديكور جميل . . وهي واسعة أكثر من شقتي . تريثي حتى تريها .

– وهل ذهبت إليها ؟

بدت الصدمة على وجه جينيفر حين فكرت فى أن ابنتها دخلت الى شقة رجل . . . لكن شارلوت أجابت دون إفاضة :

– أجل يا أمي .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

نهض برايان عن المائدة فجأة وكوب الماء فى

يده :

– عذرًا . . أود بعض الماء .

تطوعت جينيفر :

– سأحضره لك .

لكنه استمر في التوجه نحو المطبخ .

– سأحضره بنفسي .

ترك خروجه المباغت صمتًا مربكًا لم يخرقه أحد

إلا بعد دقائق إذ قالت الأم متسائلة :

– أليس خير لكم السكن فى منزل بدل شقة ؟ منزل له حديقة ومرجة وبضع شجيرات ؟

– بالطبع أمي . . لكن مثل هذه المنازل يصعب إيجادها وسط المدينة . . والشقة ملائمة وعملية . وستفهمين هما أعنيه حين ترين شقة دونالد .

– أليس هناك منازل منفصلة في المدينة ؟

– بالطبع . . لكنك لن تجديها إلا في الضواحي ، وهذا يعني أنني ودونالد سنضطر

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الى التنقل مسافة بعيدة . لذا من المنطقي أن نعيش وسط المدينة .

– لكن في وسط المدينة ؟

– عشت فيها ست سنوات . . . إنك تصورينها كبالوعة العالم ! سيدني مدينة ناشطة مثيرة يا أمي .

لكن الأم لم تتراجع عن موقفها :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– انها مزدحمة خانقة . غابة من الاسمنت . .

. ألم تشتاقي الى الريف الذي كنت تحبين

أراضيه الواسعة ؟

– وما زلت يا أمي . . لدي حصان في النادي

أمتطيه عدة مرات أسبوعيًا . . . كما أذهب

للسباحة فى نهاية الاسبوع على الشاطىء

وأركض صباحاً في حديقة عامة .

لكن أمها عبست غير موافقة :

– هذا أمر خطر .

– ليس إذا كنت متعقلة يا أمى .

شعلة المرح التي أحست بها لدى حديثها مع أمها اختفت حالما دخل برايان الى غرفة الطعام . أسرت نظرته السوداء نظرها ، وهاجهم اختناق غريب رئتيها ، وراح قلبها يخفق بغير انتظام . . . هذا غريب حقًا . . . لكن الاتصال هذا انقطع حالما جرَّ الكرسي ليجلس عليه بل حالما وضع قرب طبقه الكوب الممتلىء ماء ومكعبات الثلج .

قال دونالد :

– في الواقع جينيفر ، أحس بالقلق خشية أن تصاب أثناء امتطائها جوادها ما يزيد عن ساعة في الحديقة . لطالما حاولت اقناعها ببيع الحيوان ، لكنها رفضت .

سأل والدها :

– وأين تمتطينه ؟

فقالت الأم :

– بالتأكيد ليس بين الزحام !

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ردت شارلوت :

– ثمة أمكنة خاصة . . وهكذا ترون أنني ما زلت ابنتكما الريفية الصغيرة .

– لكن هذا لا يظهر عليها وهي في المدينة ، فهي هناك رفيقة مصقولة ، محنكة .

نظر برايان إليها وكأنه يكشف ما تحس في داخلها ، ولكنها لا تريده أن يخترق ما في نفسها بهذا العمق ، وقال :

– لا أظن أن هناك ما يكفى من ماء في سيدني لينظف التباب العالق بين أصابع قدميها من الريف . . . فالريف جزء لا يتجزأ منها .

– قد تكو محقًا .

رد دونائلد هذا ، أظير أنه لا يوافقه . الرأي إلا في هذا الجزء البسيط من الحديث ، الذي تشعي قليلاً لكن الأم أعادته الى مساره الأول :

– مازلت لا أصدق أن ابنتنا ستتزوج . لقد بدأت أظن أنها لن تجد من يناسبها . . . والآن حدث كل شيء فجأة .

ضحكت شارلوت واحتجت :

– ليس فجأة تمامًا . فأنا أعرف دونالد منذ سنتين .

رفعت الأم طبق البطاطا لتقدمه الى برايان :

– اتود المزيد

فأخذ الطبق ليمرره الى تشارلي :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– لا . . شكرًا لك .

قال دونالد معلقًا على حديث الأم :

– أنا بطيء فيما أفعل . . حين تقدمت طالبًا يدها ، كنت واثقًا بأنها لن ترفض .

– فكر ملياً تشارلي ، سيُنجب لنا أحفاد بعد طول انتظار ! ليتكما لا تكونان من الازواج العصريين الذين ينتظرون سنوات قبل إنجاب الاولاد !

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ترددت شارلوت في الرد ، ثم نظرت الى دونالد الذي لم يتطرق يومًا الى موضوع إنجاب الأطفال ، وهي لا تدري ما هي وجهة نظره في هذا الموضوع . . فضحك دونالد :

– أرى أنه من الافضل ان التركيز على زواجنا قبل البحث في أمر انجاب عائلة .

قال هذا ليتجنب الرد المباشر ، ولكن شارلوت علمت ما يحس به. حيال الامر . . .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قال تشارلي :

– الأجدى لنا تغيير موضوع الحديث جينيفر

، قبل أن تسألي ما يحرج الجميع .

– لكنني لم أخف يومًا عن شارلوك مدي

رغبتي في الاحفاد .

نهض برايان قائلاً :

– أرجو أن تعذروني . . لدي بعض العمل

المكتبي .

نظرت جينيفر إليه دهشة :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– وماذا عن الحلوى ؟

– ليس الليلة ، شكرًا لك . . عمتم مساء .

كان التجهم واضحاً على قسماته وهو ينظر نظرة سوداء الى شارلوت التي انتفضت ، فهي لم تفعل ، ولم تقل شيئًا ، قد يثير غضبه . بعد خروجه قالت جينيفر :

– برايان يجهد نفسه كثيرًا يا تشارلي .

– هراء . . . هل ذكرت شيئًا عن التحلية ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

4– نداء الطبيعة

بعد العشاء خرجت شارلوت ودونالد للقيام بنزهة مسائية . سارا فوق الممر الكثير الأخاديد حيث الهواء خفيف منعش والسماء مخملية مزدانة بنجوم بحثت فيها شارلوت عن الدب الأكبر . فقال لها دونالد بخشونة ، يؤنبها على تديقها فى النجوم :

– الأجدى لك أن تنظري أمامك فهذه الطريق غير معبدة .

– ألن تمسك بي إذا تعثرت ؟

رد بحرارة ومحبة :

– أنوي قضاء ما تبقى من عمري أمسك بك .

شيء أسود هبط عليهما ، فرفع دونالد ذراعه ليحمي وجهه وانحنى ، لكن الشيء تابع سيره في الظلام . فقال غاضبًا :

– ما هذا ؟ أهو خفاش ؟

ضحكت شارلوت :

– لا إنه عصفور دون شك .

فتوقف ليشدها بين يديه ، وقال بلهجة مهددة ساخرة :

– أنت تعتقدينني مضحكًا ؟

– بل أعتقدك مديني كبير وسيم .

– بل أنا مديني واقع في هواك .

فدنت أكثر من دفء جسده ، ليعانقها بحنان ، كانت تحس بالتمتع بين ذراعيه ، وهذا ما أفضى بها الى التفكير فى أمور أخرى .

– ما هو شعورك حيال انجاب الأولاد دونالد ؟

نقلها من بين ذراعيه الى جنبه ، تاركاً ذراعه تلف كتفيها وتابع سيره ، كان الظلام شديدًا بحيث لم تستطع رؤية وجهه واضحًا لتقرأ تعابيره .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– يجب أن نتريث قليلاً قبل وضع خطط لتأسيس عائلة كبيرة كما يجب أن نفكر بتأثير الحمل على عملك .

– ولماذا يؤثر هذا على عملي ؟

– لا أذكر أن رأيت صورة عارضة حامل على غلاف أية مجلة .

– لكنها معظمها صور للوجه فقط .

– ليس من الحكمة أن تحدي من فرص المهمات التى تقبلين بها . ثم لقد وصلت منذ

وقت غير بعيد الى قمة النجاح . . ومن الغباء رمي هذا كله . إن شهرتك لن تذوي قبل خمس أو ست سنوات ، سنفكر بعد مضيها فى الانجاب .

اشتدت ذراعه حول كتفيها تطمئنها . لكنها كانت تعلم أن هناك مخاطر كبرى إذا تجنبت سنوات طويلة الحمل ، فقالت :

– لكنني عندها سأكون فى الثلاثين .

– هذا صحيح .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

التفتت شارلوت لتنظر الى وجهه ، وقشعريرة خوف تسري في عروقها . . كان ينظر الى الامام مباشرة . . فلاح سؤال في عقلها ، وأجبرت صوتها على أن يكون هادئًا :

– دونالد . . أتريد انجاب الأولاد ؟

تردد قليلاً :

– طبعًا . . أحب جدًا أن يكون لي ابن .

لكن كان يعوز كلامه الحماس ، ولم يقل ما ذكره الآن إلا لأنه يشعر بالاحراج . فأحست

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عندئذ شارلوت بشيء يموت في داخلها كما أحست بالبرد :

– برر ! البرد يشتد هنا . . فلندخل .

– أجل . . وأنا أحس بالتعب على كل الأحوال .

نزلت شارلؤت في الصباح على أطراف أصابعها . مرتدية بنطلون جينز وكنزة زرقاء باهتة الألوان . . دونالد معتاد على التأخر في النوم وهي لا تريد إيقاظه ، فالوقت مبكر

، لم يتجاوز السادسة إلا قليلاً ، لكنها معتادة على الاستيقاظ مع الشمس . كانت العصافير في الخارج تزقزق ، وشمس الصباح تدفئ الجو .

عند أسفل السلم بدأت تهمهم بنغم مرح ، التفتت ناحية المطبخ ، ففي مثل هذه الساعة ستجد أبويها هناك . كانت تربط شعرها بوشاح أزرق ذهبي تدلت منه خصلات شقراء تتراقص على كتفيها .

كان والداها جالسين حول مائدة الفطور

الصغيرة حين دخلت المطبخ . . نظرا إليها ثم

لم تلبث أن تحولت الدهشة الى بسمة .

– صباح الخير أمي ، أبي .

– صباح الخير شارلوت .

– استيقظت باكرًا اليوم . (قالت والدتها) .

– استيقظ دائمًا باكرًا .

دنت من البراد فقالت لها أمها :

– أنهينا الفطور منذ هنيهة أنت تذكرين أن والدك يحب تناول الطعام باكراً . . هل أحضر لك شيئاً .

– لا . . شكرًا . . سأكتفي بالعصير .

أخرجت ابريق عصير البرتقال وتحركت نحو الخزانة ، عندما كانت تملأ الكوب ، أدركت كم هو مريح أن تجد كل شيء في مكانه .

قالت

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أنت بحاجة الى ما هو أكثر من العصير . . ما رأيك بالتوست ؟

ضحكت ، لم تكن تستطيع في طفولتها تناول أي طعام في الصباح ، لكن أمها كانت تحاول دائمًا اقناعها بتناول شيء . . . حتى هذا لم يتغير !

– هذا كل ما أريده . . يجب أن أراقب وزني .

وغمزت أبيها ، فسارع للمزاح :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– ظننت هذا أصبح من هموم دونالد الآن .

– لم يصبح بعد .

فسألت أمها :

– هل استيقظ ؟ هل سينزل ؟

– إنه ما يزال في الفراش . . فهو شاب مديني معتاد على النوم حتى ساعة متقدمة من الصباح .

قال والدها :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– استيقظت منتصف الليل ، ورأيت الضوء يشع من غرفته .

– ربما كان يقرأ . . . أليس الصباح مشرقًا ؟

وافقها والدها الرأي :

– سيكون يومًا ربيعيًا دافئًا

وضعت كوب العصير الفارغ على المغسلة .

– سأستكشف المنطقة قليلاً . . أراكما فيما بعد .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

في الخارج اتبعت شارلوت الممر الذى شُق وسط المرجة ، فهو أقرب طريق الى الاسطبلات . كان الهواء عليلاً ، والسماء زرقاء شاحبة والحرارة منخفضة حتى أحست بالغبطة لارتدائها الكنزة الصوفية القديمة فوق قميصها الأبيض الطويل كميه .

دست يديها في جيبي الجينز الاماميين ، وسارت نحو الاسطبلات ، واستطاعت وهى تتقدم أن تشم رائحة العلف التي امتزجت مع

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الهواء النقي ، ووجدت باب الأسطبل الأول مفتوحًا .

تناهى إليها ، من الداخل صهيل الجياد التي تأكل نافخة الشعير من انوفها ونافخة جوانب معالفها طلبًا لآخر حبة شعير فيها . رائحة الجياد الدافئة اللاذعة هبت خارج الباب . . ومع أن الامر جنوني إلا أنها تحب هذه الرائحة ، إنها كالعطر بالنسبة لها ، لكنها تعلم أن لا أحد يوافقها رأيها ، خاصة دونالد . فهي

كانت تستحم دائما متعطرة بأفخر العطور حين تعود من ركوب الخيل لتقابله .

تعالى رنين الدلاء المعدنية داخل الاسطبل ، فتوقفت داخل الفتحة العريضة لتعود عينيها على غياب أشعة الشمس . . فسمعت صوت إغلاق باب مخزن العلف الداخلي الذي أطل منه رجل ، يرتدى ثياب الرعاة الخشنة ، وهو رجل قصير الساقين محدودب الظهر ، تردد قليلاً حين شاهدها ، ثم تابع تقدمه .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مد يده ليلمس قبعته :

– صباح الخير آنسة .

– صباح الخير .

إنه دون ريب أجير جديد . لكن من الغرابة أن ترى شيئًا غير مألوف في محيط مألوف جدًا . بينما كان يتجه الى الخارج مارًا بها جاهد حتى يبقي نظره بعيدًا عنها ، فابتسمت . . لقد عرفها من النظرة الأولى ومع ذلك لم يحاول أن يطرح سؤالاً بل لم يحاول التعريف

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عن نفسه ، وهذا دليل احترام لشؤونها الخاصة ، اشتاقت إليه بعد غياب ست سنوات . فهناك في المدينة لا يعرفون إلا العداء .

سقطت رزمة من العلف من فوق واستقرت على الارض أمامها تمامًا ، مثيرة زوبعة من الغبار والتبن . بعض ذلك الغبار دخل مجرى تنفس شارلوت ، فسعلت ولوحت بيدها مبعدة الهواء الملوث عن تنفسها .

تطلعت الى فوق فشاهدت برايان يقف على حافة الفتحة الموصلة الى مخزن التبن . . مظهره مظهر المستريح فاحدى ركبتيه منحنية قليلاً ، وذراعاه الى جنبيه ، وقفازات جلدية تحمي يديه . كان يرتدي سترة جلدية مبطنة بجلد الخروف . وكان العلف مع التبن عالقًا على قمائن جينزه الخشن . بدا لها قويًا بصحة جيدة .

أحست شارلوت بالارتجاف والتوتر ، بعد أن أدركت أنه رمى رزمة التبن دون أن ينتبه إن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كان هناك أحد يقف تحت . . لكنها لم تكن قريبة منها ومن غير المجدي قول شيء .

حيته بحدة وصوت متحدٍ :

– صباح الخير .

رفع قبعته ثم أرجعها الى موقعها السابق :

– استيقظت مبكرة هذا الصباح .

– ولماذا يدهش استيقاظي الجميع ؟ والداي اولاً وها أنت ثانيًا كنت أصحو دومًا باكرًا .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– صحيح ؟ غبت عنا ست سنوات حتى نسينا عاداتك .

أصاب تهجمه على غيابها الطويل وترًا حساسًا فيها . لكنه استدار فجأة قبل أن تستطيع الرد :

– سأرمي رزمًا أخرى بعد . فمن الخير لك أن تبتعدي .

ارتدت حتى وقفت في الباب وهي تقول :

– كان المفروض أن تحذرني في المرة الأولى .

– شاهدتك .

– لماذا لم تحذريني إذن ؟

كانت تسمع صوته دون أن تراه ، وتسمع وقع خطواته فوقها فأظهر رأسه من الفتحة لوقت قصير وسأل :

– لاقول ماذا ؟

ثم رمى الرزمة الثانية الى الاسفل لتحط قرب الأولى .

- صباح الخير مثلاً . . . التحية تدل على رفعة الاخلاق .

تقدم برايان بالرزمة التالية . ورماها قائلاً :

- صباح الخير .

ثم قفز من فوق ليحط قدميه بكل رشاقة وكأنه قط بري فهزت شارلوت رأسها مرتبكة ، محبطة ، لا تعرف كيف تتعامل مع مزاحه وسألها :

- أتودين مساعدتي قليلاً ؟

دون انتظار الرد التقط الرزمة القريبة منه ودفعها نحو المعالف المقسمة . . فترددت شارلوت قليلاً ثم تقدمت نحو الرزمة الثانية وانحنت لترفعها من رباطها ، لكن الرباط المشدود اذى أصابعها . . كانت ثقيلة جدًا . ولم تستطع رفعها عن الارض . فتركتها بعد رفعها انش واحد :

– انها تزن طنًا !

وتأوهت من الجهد ، فتوقف برايان ، يحمل الرزمة بأقل جهد ممكن :

– إنها لا تزن أكثر من خمسة وثلاثين كيلو غرامًا . . .

– خمسة وثلاثين كيلو فقط !

– ربما اقل .

مد جواد رأسه من فتحة الطعام نحو المعلف وكأنه يتساءل عن سبب التأخير ، فوضع

www.riwaya.ga مكتبة رواية

براين الرزمة التي يحملها على الارض وكسر

الرباط متعمدًا ليمرر التبن :

– خذي . . ضعي قليلاً منه في المعالف

لتأكله الجياد . . سأحضر الرزم الأخرى .

أخذت شارلوت كومة من التبن فوضعته في

المعلف الأول فدس جواد جوزي اللون أنفه

فيه . . . سألت وهي عائدة الى كومة التبن

لتحمل كومة أخرى :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– من هو الرجل الذي خرج حين دخولي ؟

هل هو أجير جديد ؟

أوصل برايان الرزمة الثاتية الى مكان بعيد قليلاً عن الرزمة الأولى وأجاب :

– إنه سام ويليز . وهو ليس بجديد . . فهو يعمل منذ أربع سنوات . . استأجر وزوجته مول آل ديجان القديم . . كان طوال يوم أمس في البلدة . . فزوجته في المستشفى .

وضعت شارلوت المزيد من التبن في المعلف واستدارت لتتناول المزيد :

- أوه . . وهل الامر خطير ؟

نظر إليها بتعبير بارد متحفظ :

- وما الذي يهمك ما دمت لن تمكثى بيننا أكثر من اسبوعين .

فتوقفت لأن رده كان صفعة لها ، فقالت مرتجفة غضبًا :

– تبًا لك برايان إلسوب ! أسالك لأنني مهتمة . . فأنا فعلاً أهتم بالناس .

– لك طريقة غريبة في اظهار اهتمامك .

تقدم ليحمل الرزمة التالثة ، فوقفت في وجهه :

– وماذا تعني بكلامك بالضبط ؟

توقف ليسند ثقل الرزمة الى ساقه .

– يعني أنك خلال ست سنوات كنت تعيشين حياة صاخبة في سيدني مزدانة بأفخر الملابس

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وأجمل الحلي . . . ولم يكن لديك وقتًا سوى لنفسك ، ثم أتتك فكرة التواضع قليلاً فقصدت المزرعة . فماذا يفترض بنا أن نفعل ؟ أنركع على أقدامنا لنقدم آيات الشكر لأن نجمة قررت العودة الى سمائنا اسبوعين ؟

حين دفعها ليتابع طريقه ، أمسكت بذراعه لتوقفه :

– لم أكن قادرة على المجيء قبل الآن . . كنت أعمل !

www.riwaya.ga مكتبة رواية

رد ساخرًا :

– طبعًا !

فردت غاضبة :

– كنت أعمل !

– وهو عمل شاق جداً . . . الوقوف أمام الكاميرا لالتقاط صورتك !

– يبدو لك العمل سهلاً ؟ لماذا لا تجربه يومًا ؟ الاستيقاظ مع الفجر والركض الى الاستديو ، والجلوس فى مقعد مدة ساعتين لتحضير

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الماكياج وتسريحة الشعر . . ثم الوقوف أمام صف من الانوار الساطعة البراقة ساعات وساعات وأنت تبتسم حتى تتقلص عضلات فكك . ومصمم الازياء يقف وراء المصور يصيح ويزيد لأن العرق يترك أثرا على ثوبه الرائع . . أووه ، أنا أحصل على نزهة في كل مرة يا برايان !

رد وقد تخلى عن بعض بروده :

– إنه عمل يبدو لي سهلاً .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– والامر لا ينتهي حين ينتهي الفيلم من الكاميرا . . لا بل . . أنت مضطر لمراقبة ما تأكل لئلا يزداد وزنك ، ومضطر الى النوم باكرًا لئلا تكتشف الكاميرا أي ظل تحت عينيك في اليوم التالي . . إنها مهنة رائعة ، لكنها لا تبدو كذلك أثناء العمل فيها . إنه عمل ، عمل ، قاس ومتعب . وإذا أردت البقاء في القمة ، يجب أن تقاتل للحصول على كل مهمة تصوير أو عرض . كما كنت أفعل أنا خلال ست سنوات .

رن صوتها بتعب ست سنوات ، من الارهاق والاحباط . . . أحس برايان بأنها نفثت عن غضبها . . فأعرض عنها وحمل الرزمة الى البعيد وهو يتكلم :

– قلت لك منذ خمس سنوات إن الامر لن يعجبك . . وإن هذه الحياة ليست لك . لكنك لم تصغي لي .

– أهذا ما كنت تقصد قوله لي ؟ أردت فرصة لتقول لي « قلت لك هذا » . . أصحيح هذا

؟ لكنك تنسى أنك حين قلت هذا لي ، قلت كذلك إنني لن أنجح . . . حسنًا لكنني لم أفشل يا برايان . . فأنا أفضل العارضات .

رمى الرزمة من يده وانحنى ليفتح الرباط :

– وماذا بعد ؟ ألهذا ازددت تعلقًا بعملك حتى بعد أن اكشفت أنك لم تحبيه ؟

– أيقنت أننى سأنكب على وجهى . لكنني صممت على اثبات خطأ اعتقادك .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وقف برايان ، ثم رد رأسه الى الخلف ليتأكد من صحة قولها :

– حسنًا . . لقد أثبت هذا . وماذا بعد ؟ بما أن هذا العمل لم يكن فراش الورد الذي تصورته ، فلماذا ستزاولينه بعد الزواج ؟

فكرت للحظات بسؤاله مذهولة ثم أجابت :

– لما يمضي إلا قليل من السنين حتى أبلغ عمرًا أتوقف فيه عن العمل . . فليس من المعتاد أن تزين صورة امرأة تجاوزت الثلاثين

www.riwaya.ga مكتبة رواية

غلاف مجلة . . . ولقد قررت هذا أنا ودونالد ، وقررنا كذلك أن من المنطقي مزاولة العمل ما دمت مطلوبة .

– أكان هذا قرارك أم قرار دونالد ؟

ورفع حاجبه بتحد صامت . فردت بحدة :

– قرارنا معًا . ثم ، ماذا سأفعل غير هذا ؟

– كوني زوجة وأمًا .

ضحكت بسخرية على رده :

– يا إلهي ، إن مطلبك لرجعي حقًا . . أنت بعيد عن خطوات الزمن برايان .

– نعم صحيح ؟ كنت مؤمناً أن هذا ما يعنيه تحرر المرأة . .

التقط التبن وبدأ يوزعه على المعالف أمام ما تبقى من اسطبلات ، وأكمل بصوت ساخر :

– بالمناسبة . . أين حبيبك هذا الصباح ؟

تنفست عميقًا وهي تغلي غضبًا ، لكنها عدت حتى العشرة بسرعة .

– إذا كنت تعني دونالد فمازال في الفراش ، نائمًا ، لأنه نادراً ما يخلد الى فراشه قبل منتصف الليل ، لذلك فقد اعتاد على الاستيقاظ متاخرًا .

– إنه زواج رائع . . . !

أطلت الآن الجياد بأعناقها لتتناول التبن . . عندما انتهى عمله توجه برايان الى البوابة ، خالعًا قفازيه . . فأسرعت لتلحق بخطواته آليًا :

– وماذا تعني بكلامك ؟

– أنت تستيقظين عند شروق الشمس وهو ينام متأخرًا ، أنت تنامين باكرا وهو يسهر حتى ساعات الليل الأخيرة . يبدو أن الوقت الوحيد الذي ستقضيانه معًا هو وقت العشاء

.

وخرجا معًا الى أشعة الشمس وهى تحس بالصدمة لأنها لم تنظر من قبل الى عاداتهما

المختلفة المتباينة من هذا المنظار . وجعلها هذا ترتجف ، لكنها حاولت تحاشي معناه :

– أنا على يقين من أننا سنتمكن من ترتيب أوقاتنا لنقضي أكبر وقت ممكن معًا .

لكنها لم تستطع منع نفسها من التساؤل : كيف ؟

فسخر منها برايان :

– زواج مواعيد ؟ في السابعة العشاء . . في الثامنة الحب . . . في التاسعة الزوجة تذهب الى النوم ، والزوج يغادر غرفة النوم .

كان وصفه واقعيًا . . لكن ما أثار سخط شارلوت هو

أن تجد الحلول الناجعة له ، بدل هذا الحل الساخر الذي عرضه . لكنها سألته مستفهمة :

– ما الذي لا يعجبك بدونالد ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عندما ابتعد عنها دون أن يجيب ، سألته سؤالاً حادًا آخر :

- الى اين أنت ذاهب ؟

رد دون أن يؤخر خطواته :

- شاحنتي قرب البركة أمام الاسطبل التالي .

تابعت ساقاها المديدتان اللحاق به وهي تمتم :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– لست أدرى لماذا أسألك رأيك بدونالد .

فقد كنت دائمًا تجد العيوب في الشبان الذين كنت أتواعد معهم .

– ليس مهمًا أن أحبه أم أكرهه فأنت من ستتزوجينه .

– أجل . . . غير مهم .

برزت أمامهما الشاحنة الصغيرة ، فتابع سيره نحوها ، يضرب القفاز الجلدي الذي يحمله بيده على جانب ساقه وهو يسير . . .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الصوت الرتيب هذا وصل الى أعصاب شارلوت فجعلها مشدودة كأوتار الغيتار .

5– لماذا يا قلب ؟

قالت شارلوت بقلق :

– مياه البركة ضحلة .

وقفت في أعلى الهضبة المنخفضة المشرفة على البركة الاصطناعية التي كانت سداً أرضيًا بني

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فوق منخفض طبيعي ليلتقط مياه الثلوج الذائبة وأمطار الربيع وذلك حتى يؤمن الماء للحيوانات في فصل الصيف . كان هناك وحل عرضه نصف متر تقريبًا يحيط بالماء . .

قال برايان عندما كانت بطة تجتاز الضفة الضحلة باتجاه العشب القريب :

– الريح اطاحت بالثلج الخفيف الذي هطل في الشتاء الماضي . والربيع حتى الآن كان جافًا فلم يكد فيه تتساقط الامطار . اسبوع

آخر من هذا القحط ويصبح كل شيء هنا هشًا قابلاً للاشتعال . إن مياه النهر أيضاً قليلة .

كانت قد سمعت ملاحظة مماثلة من أبيها مساء الامس . . ولاحظت أن صوت الهواء في العشب جاف . إنها ابنة مزارع . وتعرف ما قد يعنيه الجفاف . راقبت برايان ينزع قبعته ويخلل أصابعه في شعره الاسود الكثيف . وهذه تدل على اضطراب في نفسه . رفع رأسه قليلاً ليتأمل السماء غرياً وكأنه يأمل أن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يرى السحب المبللة تقترب من فوق الجبال لتسوّد الافق .

لكن . . لم يكن على مرمى البصر سحابة واحدة ضئيلة . . حفرت الخطوط حول عينيه عميقاً حين رفع رأسه الى الشمس متنهدًا ، ثم أشاح بوجهه بعيدًا يسوى طرف قبعته فوق رأسه وقال :

– يجب أن أتحرك . . . لا عشب دون أمطار ، المرعى ليس جيدًا . والمواشي يجب أن تنقل

أيضًا الى المراعي المحيطة بالنهر . الرجال في انتظاري وكعادتك . . . أخرتني .

أضحكتها ملاحظته وقالت متذكرة :

– أجل . . . كنت دومًا تقول لي هذا . . . وكنت تقول أيضا إنني يجب إذا رغبت في محادثتك أن أحادثك وأنت تعمل ، ثم تطلب مني مساعدتك .

- كنت يومها أفضل حالاً . . فلم تكن رزمة تبن ثقيلة عليك ، يومذاك كنت قادرة على رفع أي شيء بسهولة .

ولاح طيف ابتسامة على فيه . . . فجأة بدا كل شيء على ما يرام ثانية . تلاسنهما الحاد منذ دقائق نُسي أمام النظرة المبتسمة الدافئة التي غطت وجه شارلوت . وقالت ضاحكة :

- ما أروع العودة الى المنزل . وما أروع تنشق الهواء النقي حيث حولك السماء واسعة ممتدة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

. وما أجمل أن أتحرر من كل من القلق على مظهري ومن عدم الاضطرار الى تزيين وجهي بالمساحيق . سيكونان اسبوعين رائعين : أركب خلالهما الخيل الى حيث أريد والى أبعد ما أشاء . . . ليتني أرافقك لنقل الماشية . .

سيعود الامر كما كان فى أيامنا القديمة .

كانت لهجته الحادة الخفيضة تحمل دعوة واقناعًا :

– ولماذا لا تأتين معنا ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

التفتت مترددة ناحية المنزل المختبىء خلف الأسطبلات ، فالتوت شفتا برايان بشدة :

–آه . . . نسيت ، تريدين أن تكوني موجودة حين يستقيظ الحبيب .

أدارت وجهها إليه لتواجهه متناسية سخطها من قوله هذا . . كانا غير بعيدين إلا قليلاً عن بعضهما بعضًا . جعلها شيء ما قاله دونالد عن برايان تحدق فيه كرجل يختلف عن ذاك الذي كانت تعرفه منذ ست سنوات .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

نعم هى مديدة القامة ، لكنه أطول منها ، قوي العضلات ، كامل الرجولة ، على وجهه نظرة صريحة مثيرة الى المرأة . وأحست بالارتجاف في فم معدتها لأنه دون شك أثر على الكثيرات من النساء . واكتشفت في نفسها فضولاً غريباً غير متوقع لمعرفة شيء عن حياته الخاصة ، فلوت رأسها جانبًا تحدق فيه سائلة :

– لماذا لم تتزوج ؟ ألم تفكر قط في الامر ؟

– بلى ، فكرت فيه مرة .

لمحت شارلوت بابًا يُصفق في وجهها ، وكأنه يبعدها عن أفكاره . . العنها أكملت باصرار :

– ما الذى حدث ؟

– لم أنجح .

لكنها رغبت في جواب محدد أكثر ، إلا أن صراخ بطة قفزت من الماء لفت اهتمامها . . كان ذكر بط يقترب من البطة مغازلاً فاردًا

جناحيه راكضاً وراءها وكانت الانثى تقاوم غزله . . . لكنه راح يطاردها بجد بين العشب المرتفع ، فسارعت لتهرب منه . . . وتابع الاثنان ركضهما ، ثم طارا فوق الارض وحطا تحت السياج قبل أن يختفيا خلف العشب بعد أن انقض الذكر بمنقاره على عنق الانثى ليجبرها . على الرضوخ . . . لم يحرجها منظر تزاوج الحيوانات الطبيعي ، ففي المزرعة التزاوج مطلوب وضروري للنسل .

التفت برايان ، الذي راقب بدوره غزل البط ، لينظر الى شارلوت :

– عدت الى المنزل في موسم التزاوج تماماً .

فابتسمت :

– هذا ما يبدو لى .

– اتساءل . . . هل قبض عليك دونالد يومًا من عنقك هكذا .

قبل أن تستطيع الحراك رفع ذراعه ، وانقضَّت يده على مؤخرة عنقها ككلابيتن . . فصدمها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عنف قبضته . . راحت يداها تدفعان صدره لكن لم يخرج من فمها صوت ، فتابع يقول بالصوت البارد ذاته :

– اوشدك الى ذراعيه هكذا .

لم تمثل مقاومتها أكثر من عود ثقاب يقف في وجه رباط حديدي . . ارتد رأسها الى الخلف وقد نظرت الى وجهه بذهول أخرس ، بعد أن توترت أطراف أعصابها وهي تراه يخفض رأسه إليها :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أوعانقك . . .

لكنه في هذه المرة لم يضف كلمة « هكذا » كما فعل في السؤالين الأولين . كان قماش سترته الجلدية خشنا على راحتي يديها .

أثارت قوة عناقه فيها تجاوباً عميقاً . لكنه كان عناقاً يفتقد الى التكيك والخبرة اللتين الفتهما من دونالد . . أثارت بدائية برايان وتملكة رغباتها جميعها وتجاوبها كله . سرت فيها هذه المعرفة سريان النار في الهشيم ، مشعلة كل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بقعة يلامسها جسده المفتول العضلات .

فارتجفت أمام قوة هذه الرغبة البدائية التي

جعلت

جسدها يلين أمام ضغط ذراعيه . كيف ذلك

وهي ستصبح قريبًا لرجل سواه ؟

خف عناقه تدريجيًا حتى ارتدَّ عنها لكن ظهر

في أنفاسه ثقل مضطرب ، دافيء داعب

بشرتها . . ففتحت عينيها ببطء ، وقد بدت

فيهما الصدمة مما اكتشفت . لكن شيئًا ما

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قسا فى تعابير وجهه خاصة بعد أن هجرتها يداه . . .

رفعت شارلوت يدها الى فمها مضطربة من ردة فعلها . . وكأنها هكذا تستطيع اكتشاف سبب الوهن الذي تحس به فضاقت عيناه وهو يرى حركتها . . لقد عرفت هذا الشعور من قبل لكن ما مر بها الآن يتجاوز أي شيء آخر :

– لماذا فعلت هذا يا برايان ؟

لامست الشمس الماسة فى اصبعها فبرقت على الوجه الذي يفيء تحت القبعة ، فبدا متجهمًا وهو يتمتم بخشونة :

– وكيف لى أن أعرف بالله عليك ؟ . . إنني أتساءل لماذا لم أفعل هذا منذ ست سنوات .

بينما كانت واقفة حائرة من رده ، ابتعد عنها متوجهاً الي السيارة بسرعة . . مدت يدها الى طيفه المبتعد ، تبحث عن كلمات تطلب فيها أن يشرح لها قصده . فلمَّا أومض خاتم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الخطوبة أمام عينيها ، فقدت رغبتها فجأة في معرفة ما إذا كان ما سمعته منه صحيحًا حقًا . ذلك الاحساس المرتجف في داخلها جعلها تخاف من رده إذا سألته .

قالت لنفسها : لا . . لا تطلبي شرحًا . . فأفضل ما تفعلينه هو نسيان ما جرى ، فانت مخطوبة . . . تبًا ! ليتها تتوقف . فقط عن الارتجاف ! دست يديها في جيبي سروالها ثم قررت أن تتمشى قليلاً لتنسى ما جرى .

مرت ساعة قبل أن تعود الى المنزل . كان دونالد ينزل درجات السلم حين دخلت . الساعة الخشبية القديمة في الردهة . تعلن الثامنة . أعلمتها نظرة واحدة إليه أنه استحم وحلق ذقنه ، لكنه ارتدى ملابسًا أقل رسمية هذا الصباح . رسمت بسمة على شفتيها لتحييه :

– صباح الخير . . . استيقظت باكرًا هذا الصباح .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– صباح الخير .

وانحنى يقبلها لكنها لسبب مجهول انتفضت من ملمس شفتيه ولا تدري لماذا . . ربما تحس بالذنب ؟ هل ظنت أن بامكانه الاحساس بذراعي برايان اللتين التفتا حولها ؟ تبًا ! يجب أن تنسى الامر ، لكن دونالد لم يلاحظ غرابة تصرفها . . إذ ابتسم بمرح قائلاً :

– بعد سنوات من الاعتياد على النوم رغم ضجيج السيارات ، أجدني استيقظ على هدير محرك . أتعرفين من كان ؟

– إنه برايان . . كان في طريقه لنقل المواشي الى مرعى آخر .

– تعمد الصخب دون شك .

– إذا كان قاصدًا ذلك فأنا مسرورة . حان وقت الاستيقاظ . . . هل نمت جيدًا ؟ أكان الفراش مريحًا ؟

وضع يديه حول خصرها :

– أعتقد أنه سيكون مريحاً أكثر إذا . . مع ذلك ، أجل . . أمضيت ليلة مريحة ، بعد أن اعتدت على نقيق الضفادع ونعيق البوم . أمنا الطبيعة مزعجة جدًا .

فابتسمت :

– أكنت تصغي الى موسيقاها الليلية ؟

– لقد كان الصوت مرتفعًا بشكل مزعج .

يجب أن نقدم شكوى لتخفض الصوت.

أتظينها ستصغى الى شكوانا ؟

– لا . . لا أظن هذا .

أضحت أساريره جادة :

– أقلت لك هذا الصباح «أحبك» ؟

شارلوت غراي ؟

هزت رأسها :

– لا .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ضمها إليه . . فاستجابت له ، محاولة جهدها إبعاد أية مقارنة عن ذهنها ، وكانت النتيجة مرضية مستساغة كالعادة .

– كان هذا لطيفًا . (تمتمت مبتسمة) .

– لقد أثرت شهيتي .

– لأنك لم تتناول الفطور بعد .

– أعرف ما سأحب على الفطور .

جالت عيناه عليها ن حتى توقف عند كتفها فمد يده لتنزع التبن عن كنزتها .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– ما هذا ؟ ماذا كنت تفعلين هذا الصباح ؟

أكنت تتمرغين فوق التبن .

فضحكت :

– لا . . . كنت في الاسطبلات أساعد برايان

في تقديم العلف للجياد .

– إذن هذا ما أشمه .

– كنت سأستحم لتوي .

– وغيري ملابسك كذلك ، أليس لديك

شيء جذاب غير هذه ؟

– طبعًا .

– جيد . . . أريدك جميلة أمامى .

هزت رأسها بالموافقة وقالت :

– أبي وأمي في المطبخ على الارجح ، وإذا لم يكونا هناك ، فالقهوة جاهزة . . . اسكب بعضها لك وسأنزل بعد دقائق .

تسللت من بين ذراعيه وركضت تصعد الدرجات .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

في غرفتها ، وقفت أمام المرآة . . لم يكن مظهر الجينز أو الكنزة سيئًا بل في الواقع ، يظهر السروال نحافة ساقيها ، بينما تحضن الكنزة جسدها وتضيق عند وسطها . لكن هذه الملابس قديمة مهترئة تقريبًا ، ولهذا اعترض .

بعد الاستحمام ، انتقت سروالاً بلون وبر الجمل وقميصًا أبيض ثم وضعت قليلاً من الماكياج ونزلت لتنضم الى دونالد ووالديها .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

في المساء ، بعد غسل صحون العشاء ورفعها الى مكانها ، جلست شارلوت في غرفة الجلوس ، تحس بالقلق والتوتر وكأنما الجدران تكاد تطبق عليها . كانت أمها قد أخذت لتوها صينية القهوة الى المطبخ . واختفى برايان فوراً بعد العشاء محتجًا بعمله المكتبي . وكان هناك صمت يفصل بين أبيها ودونالد ، فمدت يدها لتمسك بيد دونالد .

– فلنخرج الى الشرفة قليلاً .

نظر دونالد الى والدها وقال :

– بعض الهواء النقي فكرة ممتازة .

فلوَّح الأب بيده :

– هيا اخرجا . لستما بحاجة الى اذني .

وقفا معا وسارا الى الخارج . لكنهما بينما كانا يفتحان الباب سمعا الوالدة تسأل وهى عائدة الى غرفة الجلوس :

– أين ذهبت شارلوت ودونالد ؟

– الى الخارج. :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أوه . . لكنني أردت أن ترى شارلوت . . .

فقاطع احتجاجها :

– يريدان البقاء وحيدين فترة يا جينيفر . . . أم نسيت أيام الحب والخطوبة ؟

لم تسمع شارلوت رد أمها بعد أن أقفل دونالد الباب وراءهما . التفت ذراعة على خصرها ، وسارا الى زاوية بعيدة على الشرفة . كانت الشمس قد أغربت منذ ما يزيد عن

الساعة والليل مظلم . فعلق دونالد على هذا

:

– ما عرفت أن الليل قد يكون على هذه

الدرجة من الاسوداد .

– هذا لأنك معتاد على أنوار الشارع

واشارات المرور .

لم يكن في الفضاء أنوارًا إلا أشعة الهلال المعلق

في السماء ونور ترسله النافذة فى غرفة برايان

. أما النجوم فلم تفىء مشاعلها المتوهجة .

صاحت بومة فوق الاشجار ، ونقت جوقه من الضفادع عند طرف البركة فاختلطت الاصوات مع همس الريح بين الاعشاب . من بعيد ، في الليل ، سمعت شارلوت خوار ثور . فقالت متذكرة :

– إنه موسم التزاوج .

وتراقصت رجفة فوق بشرتها. . اسند دونالد ظهره الى . عمود يسند سقف الشرفة والتفت ذراعاه حولها من الخلف فشد كتفيها لتستند

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الى صدره ، فلمَّا أحست بالدفء مالت إليه أكثر ، تاركة رأسها يستريح على ذقنه ، فرفع يديه عن خصرها الى معدتها . وتمتم في أذنها :

– ما قلته أمرًا مناسبًا ، وخاصة وأن والديك فى الداخل .

شدها إليه ، فالتفتت إليه مبتسمة ، ولم تكن تقصد أن تثيره بكلامها ، لكن عناقه لها الآن أخذ يثير فيها ذكريات أخرى مقلقة ،: فسألها :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– لماذا تبتسمين ؟

– تذكرت أوقاتاً أخرى كنت فيها على هذه الشرفة .

فضغط عليها :

– بين ذراعي رجل آخر ؟

فاتسعت بسمتها :

– أجل . . الى أن يضيء أبي الأنوار ، التى تشير بلطف الى أنني أمضيت وقتَا غير

مناسب في الخارج وأنني يجب أن أدخل . .

على الأقل معك ، يعرف أن النوايا شريفة !

استدارت في دائرة ذراعيه لتعقد ذراعيها حول

عقه لكنه أبعدها عنه بحزم :

–إن رعبتي في مغازلتك في زاوية الشرفة ،

تعادلها رغبتي في الاستحمام فيما بعد .

تنهدت تنهيدة تشير الى خيبة الامل ، ثم

عادت للاستدارة بين ذراعيه مسندة كتفيها

الى صدره . . غضنت تقطيبة جبينها ،

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فنحتها عنها . . . كانت تتظاهر بالرغبة ، وها هي الآن متوترة لعدم استجابته . . فماذا دهاها ؟

حاولت تغيير الموضوع :

– سألتني أمي ما إذا كنت ترغب في الذهاب الى الكنيسة معهما في الصباح .

– أعتقد أن هذا أمر متوقع ؟

– أجل .

فرد ساخرًا :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– سأكون سعيدًا إذن بالذهاب .

– سأقول لها . . . أريد أن امتطى الخيل غدًا بعد الظهر ، أتحب أن تشاركني ؟

– يا حبي . . تعرفين أنني لا أحب الخيل . وبما أنني لا أستطيع اقناعك بالابتعاد عنها فلا تحاولي اقناعي بالامتطاء .

فتنهدت :

– حسن جدًا .

وسألها بعد صمت قصير :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– كيف ستتمكنين من الابتعاد عن الضجر خلال اسبوعين ؟ ليس هناك ما تفعلينه هنا ، أنتم بعيدون مئات الاميال عن أقرب مدينة .

– بعيدين عن المدينة ؟ أريدك أن تعرف يا دونالد الرابع في عائلة بيدل ، أن فى هذه المزرعة أدوات صحية حديثة ، ومجموعة كافية من أدوات التسلية من الستيريو الى التلفزيون ، فطاولة بليارد ، ومكتبة ضخمة ، وحديقة واسعة للغولف ، وخيول للركوب ، وأراضي لا نهاية لها من المناظر تخلب الالباب أضف الى

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ذلك أنواع التسلية المعروفة . . لذا نحن لا نحتاج « الذهاب » الى مكان آخر . نسيت أن أضيف بركة سباحة ضخمة ، مياهها حاليًا ضحلة .

ورفعت بصرها الى السماء الصافية :

– ليتها تمطر قريبًا .

فأطلق ضحكة مكبوتة :

– يا إلهي ! تبدين الآن مثل أبيك وبرايان .

– انخفاض مستوي الماء خطير .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– طبعاً لا أشك في ذلك . . لكن هذا الامر لا يهمنا ؟

ابتلعت شارلوت الرد الحاد الذي أرجف لسانها وقالت متنهدة :

– لا . . . أعتمد انك على حق .

ابتعد دونالد عن العمود وأبعدها ثم أدارها إليه :

– ألم يتجاوز الوقت موعد نومك ؟ فلندخل لتخلدي الى النوم .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

نعم هي لم تكن تشعر بالتعب ، إلا أنها لم تكن كذلك ترغب فى متابعة مثل هذا الحديث .

– أجل . . كان يومًا متعبًا .

وخطت نحو الباب ثم نظرت إليه :

– الست قادمًا ؟

– ليس في الحال .

– تصبح على خير .

– تصبحين على خير .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

في الصباح التالي ، وقفت شارلوت بين دونالد وبرايان في الكنيسة تنشد التراتيل ، وتصغي الى صوت دونالد الجهوري ، الذي ارتفع فوق أصوات بقية المرتلين .

صوت واحد نافس حجم صوته الطبيعي ، وهو صوت امرأة محدودبة الظهر تقف في الصف الامامي . . . صوتها لسوء الحظ كان نشازًا ، وكان دونالد حين تصل الى نغمة متنافرة عادة ينتفض اشمئزازًا ، فلا تتمالك عندها شارلوت نفسها عن الضحك .

حين تلاشى صوت الارغن في أرجاء الكنيسة جلس المصلون ليفتحوا صفحة جديدة في كتاب التراتيل ، فمال دونالد نحو شارلوت هامساً :

– يجب أن يقول أحد لهذه المسكينه أنها لا تجيد الغناء .

– هذه المرأة المسكينة هي عمتي الكبيرة أوجينى . . . وهي في الواقع صماء كالحجر .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

. . لا تكاد تسمع صوتها ، فما بالك بصوت الارغن .

لم يتحرك بصر برايان عن كتابه وهو يضيف معلقًا على حديثهما.

– يقول الانجيل «أصوات فرح للرب » ولم يقل إنها ذات نغمة .

اعتبرت شارلوت تعليقة المتسامح مسليًا في حين أن دونالد لم يعتبره كذلك فنظر من فوقها الى الرأس الأسود المنحني ، الذي يتأمل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

صفحات كتاب الترتيل ، وقاومت شارلوت لتحافظ على وجه خال من تعبير ، ونجحت .

عندما عاد القسيس الى القراءة ثانية ، اختلست نظرة ناحية برايان الذي كانت عيناه تلمعان رضى نفسيًا لكنه لم يكن ينظر إلا الى الامام نحو منبر الوعظ .

لم يعتمر قبعة هنا في الكنيسة ، فبان شعره الاسود متدليًا بطريقة مهملة دون ضوابط . كان يرتدى بذلة قديمة الطراز بنية اللون وربطة عنق برونزية اللون . بدا مرتاحًا ، حتى

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وجدت صعوبة في تشبيهه بالرجل الذي أثار اضطرابها بعناقه منذ ما يقل عن أربع عشرين ساعة ، تجنب أثناءها الاقتراب منها لكنها صححت لنفسها : إنه لا يتجنبها ، بل يعاملها بغير مبالاة .

التفت برايان فجأة فلمّا فلما رآها تحدق فيه رفع حاجبه بسؤال صامت ، وكأنما لا فكرة لديه عما تفكر فيه الآن ، فأشاحت بصرها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بسرعة ، وعادت تركز على الخدمة الكنيسية

.

حين انتهت الخدمة ، وأعطيت البركة ، خرجوا من الكنيسة . كانت شارلوت تعرف الموجودين جميعهم ، وبما أنها فتاة ريفية أصبحت شهيرة ، أراد الجميع محادثتها . وكانت أمها قد نشرت خبر خطوبتها ، لذلك فمن الطبيعي أن يقبل الجميع على مقابلتها ورؤية دونالد كذلك . بدا أن الجميع ينتظر في باحة الكنيسة ، إذ لم يغادر المكان إلا بضع

سيارات . في بعض المراحل انفصلت شارلوت عن دونالد ، ثم لما عادت تبحث عنه ، تقدمت أمها منها قائلة :

– العمة أوجيني تقف قرب الدرج ، فاقتربي منها لالقاء التحية .

– حسن جدًا أمي ، هل رأيت دونالد ؟

– إنه هناك مع أبيك وجيم سانل ، صاحب المصرف .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

نظرت شارلوت الى الجهة التي أشارت إليها أمها ، في اللحظة نفسها رفع دونالد رأسه ، فرآها تنظر إليه ، فهز كتفيه اشارة عجز تقول إنه عالق بضع دقائق تأدباً . . فابتسمت متقدمة عبر الجموع الي درج الكنيسة حيث كانت تقف المرأة العجوز ، مستندة الى عكازها لتلتقط أنفاسها . فحيت شارلوت المرأة بصوت مرتفع وهي تقف أمامها :

– مرحباً عمتي أوجيني .

www.riwaya.ga   مكتبة رواية

كانت المرأة في الثمانينات من عمرها ، صفراء الوجه ، رمادية الشعر .

– أتذكرينني ؟

صاحت أوجيني غراي وهي تدير رأسها حتى تكرر شارلوت ما قالته لها في الاذن الثانية السليمة :

– ماذا قلتِ ؟ تكلمي !

اقتربت شارلوت منها ورفعت صوتها أكثر :

– قلت هذا أنا . . شارلوت .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– طبعًا هذه أنت ، أتظنينني عمياء ؟

بعد ست سنوات مازالت العمة العجوز سريعة التذمر

والغضب .

حاولت شارلوت كبح ابتسامتها :

– كيف حالك ؟

– ماذا قلت ، ارفعي صوتك يا فتاة ! سمعي ليس سوياً .

– قلت كيف حالك ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– ولماذا تصرخين ؟ أنا بخير . . بخير . . قالت لي إيزابيل كورد إنك ستتزوجين . . هل هذا صحيح ؟

– أجل .

– حسنًا أين هو هذا الشاب ؟ ألن تعرفيني إليه ؟

– إنه واقف هناك .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ارتكبت شارلوت خطأ حين التفتت ناحية دونالد . إذ أومضت عينا العحون الزرقاوان سخطًا :

– كم مرة يجب أن أقول ارفعي صوتك ؟

أخذت شارلوت نفسًا عميقًا حتى تخفف من سخطها وحافظت على مظهر مرح . لكنها هذه المرة لم ترتكب خطأ إذ لم تدر رأسها .

– إنه واقف هناك .

تبعت نظرة العجوز يد شارلوت ، ثم عادت إليها بحدة :

– لماذا لم تقولي إنك ستتزوجينه ؟ أتظنين أن ذاكرتي وهنت بعد أن خف سمعي ؟ برايان إلسوب يعمل عند والدك منذ سنين طويلة ، أتظنينني لا أذكر هذا ؟

برايان إلسوب . . . ؟ التفتت شارلوت فشاهدت برايان . يدنو منهما ، في خط مباشر مع أصبعها الممدود حاجبًا بتقدمه هذا

المكان الذي يقف فيه دونالد ، فسارعت لإصلاح الخطأ :

– لا يا عمتى أوجينى . . أنا لست مخطوبة له .

– بالطبع أنت مخطوبة له . . أتخالينني لا أفهم ما تتحدثين عنه ؟ تفكيري لم يشرد الى أي مكان آخر . لكنني بدأت أقلق عليك وعلى تفكيرك .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مدت العجوز اصبعًا الى شارلوت ، فشاهدت منديلاً مزيناً بالزهور تحت ساعتها تمسك به بين اصابعها ، فقالت تجاهد حتى لا تفق صبرها :

– لا يا عمتي . . ثمة خطأ .

– ما من فتاة تخطىء في اختيار الرجل الذي ستتزوج .

رغبت شارلوت في الصراخ من شدة الاحباط . . كيف بحق الله ستُفهم هذه المرأة ؟ وحتى

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يزداد الوضع سوءًا وصل برايان ووقف الى جانبها . فنظرت العجوز إليه برضى ، ثم خاطبت شارلوت :

– ما كنت لتختاري رجلاً أفضل منه برايان سيكون الزوج المثالي لك .

جاهدت شارلوت حتى لا تلتقي بنظرته المتسائلة التي اطلقها برايان نحوها ، وحاولت أن تشرح الموقف له :

– أبذل جهدي لأقنع عمتي أوجيني الى أنني أشير الى دونالد على أنه من سأتزوج ، لا أنت .

شاهدت أوجيني شفتي شارلوت تتحركان ، فوضعت يدها حول أذنها السليمة :

– ماذا قلت ؟ لن أستطيع سماعك إذا لم ترفعي صوتك .

– كنت أقول . . .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قاطعها برايان منحنيًا الى أذن العجوز صائحًا

:

– كانت تحدثني أوجيني . . كيف حالك اليوم

؟

– بخير . . . بخير. . هذا الخاتم الذي أعطيته لها

مبهرج أكثر من اللازم . . . . وذوقه سقيم . .

. يجب أن تستبدله لها بآخر أصغر منه .

– سأفكر فى الامر .

– شارلوت فتاة طيبة عاملها جيداً ، برايان
إلسوب !

راحت شارلوت تزيد غضبًا لأنه فشل في تصحيح الخطأ ، فقالت بغيظ دون تحريك شفتيها :

– أرجوك اشرح لها .

حين نظر إليها كان في عينيه لمعان خطير ، خبيث مترافص . فتسارعت نبضاتها . وانحنى ثانية الى أذن العجوز السليمة وصاح :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أتعلمين ما يقال عن ترويض الجواد البري . على الخيال أن يركبه بقسوة مدة طويلة في البداية هذا إذا كان يريد الراحة لنفسه في المستقبل .

فغرت شارلوت فاها ، لكتها لم تدر ما إذا كان يجب أن تثور غضبًا من الاحباط أم تضربه ، ارجعت أوجيني رأسها الى الوراء تظهر الصدمة من جرَّاء تصريحه هذا ، لكنها التفتت الى شارلوت تهز اصبعها في وجهها :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– يجب تلقينه دروسًا . . ففى أيامي الغابرة لم يكن الرجل ليتحدث بهذه الطريقة أمام النساء .

وتحركت أوجيني مبتعدة عنهما ، تتعكز على عصاها .

فاستفاقت شارلوت من صدمتها ، والتفتت الى برايان بحدة :

– لماذا فعلت هذا ؟

بدأت الشعلة التي مازالت في عينيه تخبو :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– ظننتك بحاجة لمن ينقذك منها .

– ما كنت أحتاج إلا أن أصحح لها خطأها .

– عندئذ كانت سترهقك بأسئلة لا تنتهي ، وكنا سنمضى الجزء الاكبر من اليوم في تصحيح معلوماتها .

– لذلك تركتها تعتقد أننا مخطوبان . . لكن هذا امر غير منصف .

رد دون انزعاج :

– شخص ما سوانا سيشرح لها الامر .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وهذا أمر صحيح ، لكن شارلوت لم ترغب في انهاء فترة توبيخها له بسهولة :

– وكيف تجرؤ على قول ملاحظة منحرفة غير مؤدبة ؟ إنها غلطة لا تغتفر ! إنها عانس ! أنت تعلم أنها لم تتزوج قط !

– من يعلم ؟ لا يمكن أن يبلغ انسان ما عمرها ويبقى غافلاً جاهلاً بهذه الحياة هي تدعى الصدمة أمامك فقط .

فصاحت. شارلوت بصوت غاضب :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أنت بغيض لا تطاق !

فابتسم :

– هذا ما قيل لى .

شاهدات دونالد يقترب . . سارعت للالتجاء إليه .

6– رغبة لا تخبو

بعد غداء يوم الاحد ، قصدت شارلوت غرفتها لترتدي ثياب الفروسية . عندما نزلت التقت بدونالد صاعدًا ، فتوقفت في منتصف السلم . وقالت له :

– أنا خارجة للفروسية ساعة أو ما يزيد لأمتطي جوادًا . ألن تشاركني ؟

– لا . . شكرًا لك . سأصعد لأغير ملابسي ، ثم انغمس في قراءة الصحيفة .

فقالت تمازحه :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أوه . . الصحيفة ، لمسة من المدينة في هذا القفر .

– بالضبط حبيبتي . متعي نفسك .

– سأمتعها .

تابعت نزول الدرج ثم خرجت متمهلة من الباب وسارت في الممر الذي يفضي الى الاسطبل ، كان اليوم جميلاً مشمسًا والحرارة معتدلة . فيه يحسن ركوب الخيل .

كان باب الغرفة التي تشد فيها سروج الخيل مفتوحًا . وهناك رأت برايان ينتزع حلقة مكسورة من رباط أحد السروج ، كان قد غير بذلته وارتدى قميصًا أبيض وسروالاً بنيًا .

رفع نظره حين دخلت شارلوت ثم تابع اصلاح السرج . فقالت له :

– أريد ركوب الخيل . . أي جواد تقترح علي امتطائه ؟ أم أختار بنفسي ؟

كانت حازمة بكلامها ، لأنها مازالت ساخطة مما بدر منه فى باحة الكنيسة مع عمتها .

– تريدين القيام بنزهة ؟ امتطي «سالم» ذا الأصل العربي ، وهو المخطط في أول اسطبل ولك ذلك السرج ، الى اليمين. وإذا أراد خطيبك مطية لطيفة ، فاسرجي له الفرس الحمراء الي هي أهدأ فرس .

رفعت اللجام ووضعته على كتفها ثم رفعت السرج قائلة :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– إنه لا يحب الفروسية .

– آه . . نسيت إنه فتى مديني ، لا يجيد على الارجح امتطاء الخيل اليس كذلك ؟

ورمى الحلقة المكسورة في برميل المهملات ، وكأنه يدل على أن دونالد يساويها قيمة . فأجابت وهي تدرك أنه يلاحق كل خطوة تقوم بها :

– في الواقع دونالد خيال ماهر ، لكنه لا يحب الخيل ، وى يتمتع بامتطائها . . لذلك من المستحيل أن يخرج راكبًا طلباً للنزهة ؟

– متى يمارس الفروسية إذن ؟

– يملك أحد زبائنه مزرعة للصيد ، يمتطي فيها الخيل لصيد الثعالب .

أحست بالتوتر النى عزته الى استجواب برايان الذي يحاول إيجاد عيوب لدونالد . لكن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

سرعان ما خرج برايان باستنتاج آخر جعل دونالد يبدو سيئًا :

– بكلمات أخرى ، هو لا يمتطي الخيل إلا إذا كان هناك مشروع مالي . أما التنزه معك فبعيد عن اهتمامه .

ردت بحدة :

– أنا لا أريده أن يفعل هذا لأجلى فقط .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ران صمت قصير ، حسبت خلاله أنها قد اسكتته ، لكنها كانت مخطئة ، إذ سمعته يقول :

– أنت شخصية تحب الصباح ، وهو يفضل الليل . أنت تحبين ركوب الخيل وهو يبغضه . . أثمة شيء مشترك بينكما ؟

ردت بحدة :

– أجل . . فنحن نحب بعضنا بعضاً .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

نطقت الكلمة الأخيرة من غرفة السروج . . أدار الفرس المخطط رأسه لينظر إليها وهي تدخل اسطبله رمت السرج من يدها ودنت منه لتمسح رأسه قبل أن تضع اللجام مكانه . . توقعت أن يلحقها برايان ليتم الحديث لكنه لم يفعل . ما إن وضعت اللجام والسرج على الجواد حتى قادته من اسطبله الى الخارج . لفت اللجام فوق عنقه ورفعت قدمها الى الركاب ثم مدت بساقها الأخرى فوق السرج . شدت عنان الفرس لتوجه الجواد نحو الخلاء

www.riwaya.ga مكتبة رواية

، ثم لامست بمهمازيها بطنه . . فكانت انطلاقته في البداية خببًا .

خف توتر شارلوت وهي تبتعد عن الاسطبل . بعد أن اجتازت بعيداً عن مباني المزرعة ميلاً ، شدت اللجام لتبطىء من سرعة الجواد .

فرفع الجواد شعر عنقه الاسود وصهل . . صوته المسترخي القانع ، قابلته شارلوت بتنهيدة ارتياح .

كانت الارض التي توجهت إليها برية وعرة ، كثيرة الصخور ، هزمت عزيمة المزارعين . أعشابها غير عميقة الجذور ، أفقها مزدان بهضبات متفاوتة الارتفاع ومتحدرات حادة لها . . . أما أشكالها فساهمت الريح القوية في نحتها عبر السنين في ذلك الصخر الرملي الأحمر .

حوَّلت شارلوت بأسى اتجاه مطيتها نحو المزرعة مجددًا قبل انقضاء الساعة . كان بامكانها التنزه مدة أطول لمسافة أبعد لولا دونالد

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الذي ينتظر عودتها في المنزل . . لكن أمامها أياماً أخرى في الاسبوعين القادمين تستطيع خلالها قضاء الوقت الذى تشاء سارحة فى أحضان الطبيعة على جوادها .

عندما دنت من البوابة الحمراء ، فتحتها ودخلت ، ثم جعلت جوادها ، في وضع يسمح لها بإقفال البوابة خلفها . . لكنها رأت جوادًا يقف داخل الحلقة المسيجة ، جوادا كستنائيًا قربه يقف برايان الذي أمسك حافره الامامي بيده . على الرغم من أن

عدائيتها له تلاشت خلال النزهة ، إلا إنها اختارت أن تتجاهل وجوده . لكن سؤاله أبعدها عن النجاح :

– هل تمتعت بنزهتك ؟

– أجل .

ربت برايان عنق الجواد الكستنائي وتركه ، فقفز نحو الاسطبل متثاقلاً فسألت :

– إنه يعرج . . ماذا حدث له ؟

– انزلق فوق الثلج هذا الشتاء فمُزِّقت أوتار ركبته لكنه لم يشف بشكل صحيح ، ويبدو أنه سيبقى هكذا دائمًا .

جواد معطوب في مزرعه عمل ، لا يصلح للتزاوج ، هذا يعني أخبارًا سيئة :

– هل سيعدم ؟

– لم يصدر الحكم عليه بعد ، إنه أفضل الجياد في ملاحقة الأبقار . . وإننا على

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الارجح لن نتخد قرارًا بشأنه قبل الخريف فليس من السهل إيجاد جواد مثله .

– أجل . . . أعرف هذا . فالجواد هو من يسهل مهمة راعي البقر أو يصعبها . . والجواد الجيد يعمل وحده تقريبًا .

توقف برايان الى جانب جوادها ، ليمشط بيده خصلة من شعر عنقه . . بينما كان يمشط شعر الجواد تجاوزت عيناه شارلوت باتجاه المنزل . . وأصبحت نظرته جافة :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– ها هو حبيبك على الشرفة .

– برايان أرجوك توقف عن دعوته هكذا ؟

واستدارت فوق سرجها لتلوح له ، فرفع يده ردًا . .

– سأحضر إليك بعد وقت قصير . (نادته وهي تضع يديها على فهما ليسمعها) .

فهز رأسه ودخل المنزل . فسألها برايان ساخرًا ، دون أن يتوقع ردًا منها :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

- أرأيته مرة وقد لطخته الاوساخ ؟ لا أستطيع إلا التساؤل عما إذا كان يعرق أم لا .

- انت تغار منه .

لكنها كانت على يقين من أنه يتسلى بأسئلته هذه .

- ربما . (أجابها) .

كان في بسمته شيء من التحفظ . . انتزعت قدمها من الركاب ، وبدأت تترجل ، فسارع

www.riwaya.ga مكتبة رواية

برايان الى وضع يديه الكبيرتين تحت خصرها لرفع جسدها النحيل وأنزلها الى الارض قربه تاركًا لمسة خفيفة على خصرها وقال ساخرًا :

- كنت أتوقع منك مسابقة الريح للوصول الى المنزل ورمي نفسك بين ذراعيه ، بعد فراقكما ساعة .

كان يمازحها بطريقته القديمة المألوفة فلم تحس بالغضب . كانت تحس بيديه على خصرها ، تحس بكل اصبع فوق القماش يحرق بشرتها ،

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لمستة دافئة ومثيرة بشكل غريب ، كان ساعداها مسترخيين على ساعديه ، ويداها تتحسان العضلات تحت كمى قميصه .

ضحكت . . . تحاول تجاهل شدة قربها منه ، وقالت مستنكرة :

– لن أرمي بنفسي بين ذراعيه ورائحة الجواد عالقة بي .

رفعت يدها ممسكة بأنفها دليل اشمئزاز ، فأمسك بهذه اليد من المعصم وأدناها من

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وجهه حتى أحست بلحيته النابتة تدغدغها وسرعان ما أصبحت أنفاسها سريعة غير عميقة . وحين رفعت بصرها إلية التقت عمق الاسوداد في عينيه . .

قال بهدوء :

– رائحتك عطرة بالنسبة لي . . . منعشة كرائحة الارض بعد مطر الربيع .

لم تسحب شارلوت يدها ، مع إنها تعلم بوجوب ذلك . . . وشرعت خفقات قلبها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تتسارع خاصة بعد أن ركز نظرته على فمها ، وازداد ضغط أصابعه على معصمها ليدنيها منه أكثر فأكثر . ولم تشعر إلا وقوة تدفعها الى الاستسلام وعدم المقاومة .

لم يكن هناك سرعة فى تحقيق التحام جسديهما . داعبت أنفاسه بشرتها ، وتنشقت عرقه الذي تعرف أن هذه الرائحة له وحده . حين تم العناق كان ناعمًا وعميقًا مما أثار فيها تجاوبًا كان أقوى وأكثر اغواء من الرغبة نفسها .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كان كلهيب حارق اجتاحها بناره حتى أخمص قدميها .

كانت يداه على ظهرها تثيرانها ، وتدنيانها الى قساوة جسده . ولم تحتج الى تشجيع لتدفع نفسها أكثر في أحضانه . أعماها هذا عن كل شيء إلا لغة الرغبة الصماء التي بلغت درجة لم تصل إليها قط من قبل ، رغبة فتحت قلبها على جمال أخاذ تركها ترتجف ذعراً .

حين بدأت رياح الحقيقة الباردة تهب ، أخفضت رأسها

وحدقت الى أزرار قميصه فبدت لها انعكاسات شعر صدرة الاسود تحت القميمن الابيض . . فاخفضت يديها عن عنقه ووضعتهما على صدره ثم راحت تدفعه لتضع مسافة قصيرة بين جسديهما . فقد أدركت ، فجأة سب إحساسها بأن هذا التواصل بينهما خطأ يمكن حصره فى كلمة واحدة . . .

دونالد !

www.riwaya.ga مكتبة رواية

حين رفعت بصرها الحائر الى وجهه كانت عيناه بانتظارها ، فدرستا تعابير وجهها بعناية ، في وقت لم يعبر فيه وجهه عن أية أفكار داخلية . وقال :

– حسنًا ؟

كان يعي تماماً سبب ارتدادها ، لكنه لم يحاول التصدي له .

– من الأجدى عدم معاودة الكرة .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لم يكن هذا تحذيرًا له ، ولا تصريحًا ، ولا رجاءًا . . . بل كان خليطا من الثلاثة . بدت بسمة رضا على فمه وهو يقول :

– ما كان عليك أن تتركيني أتمادى .

كان صوته المنخفض يحمل قدراً خفيفاً من السخرية . وفي اللحظة التالية تركها واستدار ليمسك بلجام جوادها :

– سأعتني بجوادك .

تعالت الحرارة الى وجنتيها وهي تراقبه يقود الجواد الى الاسطبل . . . لم تكن قد تفوهت بكلمة للدفاع عن نفسها ، لأنها تعرف أنه على حق ، فلم يكن هناك اكراه في عناقهما . . . كانت راغبة تتوق إليه بإرادتها ، وقد أحست برضى كبير .

الآن عليها العودة الى المنزل حيث ينتظرها دونالد ، لكنها لم تشعر بالرَّاحة . . . فمهما حاولت ردَّ ذلك العناق الى أية نيه بريئة ، فلن تنجح لأنها مذنبة بمقدار ما هو مذنب .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

إن عودتها الى مرتع صباها تسير في منحنى لم تكن تتوقعه . فعالمها كله بدأ ينقلب رأسًا على عقب . . عالمها هذا الذي لم تعد تدري كف تعيد له توازنه . . .

كانت تنوي إخبار دونالد ما حدث ، لتحرير نفسها من ثقل الاحساس بالذنب . . لكن حين سنحت لها الفرصة أحست بتردد شديد ، وعزت صمتها الى أن ما حدث ليس إلا إثارة عارضة . فالأعزب يقوم بهذه الأمور قبل أن يقسم الولاء للزواج وبما أنها لا تتوقع من

www.riwaya.ga مكتبة رواية

دونالد أن يخبرها عن علاقاته السابقة ، فلا سبب يدعوها الى اخباره عن عبثها قبل الزواج . بقيت أفكارها مشدودة الى تلك اللحظات بين ذراعي برايان ، وكلما تذكرتها كان توترها يزداد وصورتها تترنح في ذهنها . حالتها المضطربة هذه ازدادت مع كل قفزة قفزتها الشاحنة خاصة انها كانت تصطدم بكتف برايان . . كان التلامس المثير تذكيرًا جسديًا لها لم تكن تحتاج إليه . . أثناء سير

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الشاحنة الحثيث ، شدت نفسها لتلتصق بدونالد الجالس على الجانب الآخر منها .

منذ عشر دقائق ، دارت الطائرة الصغيرة فوق المنزل قبل أن تحط على المدرج العشبي . ودَّع دونالد والديها ، ووضع برايان الحقائب في مؤخرة الشاحنة الصغيرة . . وعلى الرغم من فطنتها وحسن تصرفها ، جاءت معهما الى المدرج لتودعه الوداع الأخير.

بقيت خلال الرحلة ال المدرج صامتة ، تحاول تجاهل وجود برايان الذى كان يغمرها ، اضافة الى الذكرى «الطازجة» . . لاحظ دونالد صمتها ، لكنه اعتقد أن مرد ذلك الى رحيله . فلف ذراعه حول كتفيها ، وقبلها على شعرها . وقال مؤكدًا :

– سأتصل بك كل ليلة باكرًا . . . أعدك ، لئلا أتركك ووالديك منتظرين .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

- حسنًا . . . سأنتظر بفارغ الصبر مخابرتك

.

لم تستطع التجاوب لمداعباته بوجود برايان الذي نظرت الى جانب وجهه ، فإذا به يحدق الى الامام ، دون الاهتمام بأي منهما . .

ابتسم دونالد :

- أنا سعيد لأنك ستقضين هذين الاسبوعين مع والديك ، ولن يكون أمامك ما يشغلك سوى الاشتياق لي !

www.riwaya.ga مكتبة رواية

اندفعت الشاحنة الى الامام في آخر مرحلة وعرة من الطريق ، مما أعطى شارلوت انطباعًا بأن برايان تعمد الدوس على دواسة السرعة . وعلمت أن كلاهما فقط . يعرف ما هي امكانيات التسلية هنا ، بينما كان دونالد فى جهل أعمى . ولم تدر لماذا أضافت :

– وللتحضير للزفاف كذلك .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كانت توجه كلامها بشكل مباشر الى برايان ، وكأنها مصممة على تذكيره بأنها مخطوبة . . . فهي تريده أن يفهم أنها امرأة مرتبطة .

تقدَّمت الطائرة وتوقفت تحت الحظيرة المعدنية في نهاية المدرج منتظرة . أوقف برايان الشاحنة بعيدًا عن جناح الطائرة ، وبقي في مكانه بينما نزل دونالد ومد يده ليساعد شارلوت على النزول .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

هدير محرك الطائرة جعل الحديث مستحيلاً .

. ولدت مراوح الطائرة تياراً هوائيًا شديدًا

جعل شعرها الأشقر يطير حول وجهها عندما

سارت مع دونالد الى مؤخرة الشاحنة ليحمل

حقائبه ، وضع الحقيبة الصغرى تحت ذراعه

وحمل الأخرى باليد ذاتها ثم أمسك رأسها

بيده الفارغة وشدها ليقبلها . . بعد ذلك

توجه الى باب

الطائرة ملوحًا بيده . . لاحظت أن فمه

يتحرك بكلمة «الوداع» لكنها لم تسمعه .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بعد أن أُوصِد الباب ، حثت الطائرة خطاها الى نهاية الممر المعشوشب . راقبتها شارلوت من موقعها قرب الشاحنة ثم جمعت بيد واحدة شعرها لئلا يتطاير .

انطلقت الطائرة ، وهي تحس باكتشاف رهيب : قبلة دونالد لها كانت قبلة تقنية خالية من المشاعر . . . أم إنها هي الخالية من المشاعر ؟ أمرت ثلاثة أيام على وصولها ، واثقة من نفسها آمنة ؟ مال جناحا الطائرة وكأنها تودعها ثم ارتفعت في السماء .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

سمعت برايان يقول ساخرًا :

– شقراء جميلة ، تقف مهجورة قرب المدرج بينما تحمل الطائرة على جناحيها محبوبها الى البعيد . إنه منظر مؤثر. . لكنني أظن أنه منظر حدث قبل الآن كثيرًا . . . ويجب أن تبذلي جهدك لتمثيل دور مبتكر أكثر من هذا يا شارلوت .

جعلها صوته تنتفض فلاحظت أنه يقف على الجانب الآخر من الشاحنة ، ذراعه على

سقفها وعيناه عليها ، فأبدت الامتعاض وهي ترمقه بسرعة ، ثم استدارت تقصد مقعدها وقالت متشنجة :

– فلنعد الى المنزل .

رد عليها بصوت جاف وهو يحتل مقعده :

– هذا بالضبط ما أنوى فعله .

احتلت مكانها أيضًا ثم صفقت الباب الذي كانت نافذته منخفضة فرفعت ذراعها خارجًا وكأنها تحتضن الباب . . . لكن المساحة

الخالية فوق المقعد بينهما بدت وكأنها تتأوه حتى تمتلىء . . نظرت الى برايان عندما لم يحاول تشغيل المحرك ، فوجدت عينيه مستقرتين عليها .

- أخائفة مني ؟

ردت بسخرية كي تخبىء ، توترها :

- بل مصعوقه خوفًا . . . هذه الشاحنة لن تتحرك بنا إن لم تشغل المحرك .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أدار المفتاح فهدر المحرك . . عندها أشاحت بوجهها عنه وحطّت بصرها خارجًا . . .

أصبحت الطائرة الآن بقعة سوداء في سماء زرقاء صافية . . سمعته يسألها بصوت خفيض وحميم حتى درجة خطرة :

– ما خطبك شارلوت ؟ أبدأت تغيرين رأيك ؟

تلعثمت وهي ترد بسرعة .

– أجل . . أعني لا .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فضحك برايان ضحكة خشنة ، وهو ينطلق الى الامام فسألته بحدة :

– هل لك أن تخبرني ماهو المضحك هكذا ؟

– أنت . فأنت لم تجدي الشجاعة الكافية لاخبار محبوبك ما حصل بيننا والذنب الآن يتآكلك .

أحست بالنار تندفع في عروقها ، فقد كان الطريقة التي نظر فيها إليها تشير الى أنه

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يغازلها في أفكاره . . والغريب أن مشاعرها كانت ترتجف استجابة . هذا جنون !

– وما أدراك ؟ ربما أخبرته .

– أعرفك شارلوت معرفة وثيقة . أنسيت أنك كنت تأتين إلىَّ فى الماضى معترفة . وأنا أعرف نظرة الاضطراب في أعماقك .

– لا شيء يزعجني لأضطرب .

هز كتفيه :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أنت كاذبة . . لكن فليكن لك ما تشائين

. فأنت غالبًا ما تفعلين هذا . .

تفوه بآخر جملة بصوت مرير متذمر.

بعد اجتياز مئات الامتار في صمت مطبق ،

طالبته شارلوت بتفسير :

– برايان . . أريد طرح سؤال عليك .

– تفضلي .

– لماذا عانقتني ؟

مد يده ليدير المرآة فوق رأسها فطالعتها صورتها فيه .

– أنت امرأة جميلة شارلوت . . فلماذا لا أرغب في عناقك ؟

أطلقت تنهيدة عميقة ، وأغرضت عنه تنظر خارجًا لم يكن الرد كافيًا . لكن ، ربما طرحت السؤال على نفسها ، لتعرف سبب تجاوبها له .

لكنها لم تفعل . . . وأحست بالارتياح لأن برايان لم يسألها هذا السؤال أيضًا .

7– عينان من نار

مر يوم الاثنين ، وتبعه الثلاثاء ، بسرعة وسهولة . فمطالب العمل في المزرعة احتلت معظم أوقات برايان وذلك من مشرق

الشمس حتي مغربها . وكانت هي مادامت بعيدة عن مصحته ، قادرة على أن تقنع نفسها بأن ما حدث كان حلمًا سيئًا . لكن حين كانت تراه في أوقات الطعام ، وتضبطه ينظر إليها بطريقة صامتة مفكرة . . . تتذكر ما حدث وتخشى أن يتكرر ثانية .

كان يعوِّض عن تلك اللحظات ، دونالد بمكالماته الليلية ، والساعات التي كانت تقضيها مع والديها في الزيارات ، حيث كانت وأمها تتشاركان في القيل والقال ، وفي بحث

www.riwaya.ga مكتبة رواية

خطط يوم الزفاف ، والحديث عن المستقبل .

وسرعان ما وجدت شارلوت نفسها تعود الى

حياتها القديمة في المزرعة . هذه الحياة التي

وجدتها رائعة

تلائمها .

بعد ظهر الاربعاء ، كانت في المطبخ مع أمها

، تحضر وجبة المساء ، وكان والدها هناك

كذلك . يعاين ما يجرى ويتدخل فيما لا يعنيه

:

- هذه الصلصة بحاجة الى شيء جينيفر .

تناول ملعقة أخرى ليتذوق ما في القدر:

- ربما بعض البصل أو الملح أو الثوم .

فصاحت به تبعده :

- ربما يحتاج الى طباخين أقل . ليتك تبتعد عن طريقنا تشارلي ، لننجز العمل . سيصل برايان قبل أن ننتهي من تحضير الطعام .

سمعت صوت الباب الامامي .

- ها هو قد وصل .

عندما اقتربت خطواته الثقيلة ، حضرت شارلوت نفسها لمواجهة وجود برايان ، فلم ترفع رأسها حين دخل ، لكن نبضات قلبها تسارعت حتى وصل صداها الى أذنها . من العجيب كيف أن انسح بدا عبرا فيقا حين دخل ، حتى احست شارلوت بضيق في التنفس ، فرشت رقائق البقدونس فوق البطاطا المهروسة

وركزت على مزجها .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قالت الام :

– سيكون العشاء جاهزًا بعد دقائق برايان .

– لست على عجلة . . يجب أن أغتسل أولاً .

قال الأب :

– أتود شرب شيء ؟

– لا . . . أفضل كوب ماء بارد .

تقدم برايان الى المغسلة حيث تقف شارلوت ، وفتح الماء البارد وتركه يجري ثم مد يده فوق

www.riwaya.ga مكتبة رواية

رأسها ليتناول كوبًا من الخزانة . . فبدا أن هناك شحنة كهربائية في الهواء حولها .

– كيف حالك ؟

بدا سؤاله المنخفض الوتيرة وكأنه يداعبها بصوته . . فرفعت بصرها إليه . . تبًا . . لماذا ينظر إليها على هذا النحو ؟ حاولت أن تبدو طبيعية :

– بخير .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

–إذا استمريت في مزج هذه البطاطا ، فستنقلب الى صمغ لزج .

كانت لهجته ساخرة هازئة ، حين كان يملأ كوبه ماء . فتوقفت يديها عن مزج البطاطا ، وابتعدت عن المغسلة تحاول الالتهاء عنه ، وقالت :

– البطاطا جاهزة أمي . هل أضعها على المائدة ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قبل أن تتلقى الرد تصاعد طرق على الباب الخلفي ، وكانت شارلوت الأقرب ، فسارت لتفتح ، حاملة وعاء البطاطا معها . ووجدت أحد عمال المزرعة ، توبي مكنزي ، وهو رجل في الاربعينات من عمره ، يعمل في المزرعة منذ خمس عشرة سنة .

– مرحبًا شارلوت (رفع قبعته ثم أردف) . كيف حالك ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

شاهدت برايان يدخل . . هل لي أن أتحدث . .

قبل أن يكمل وصل برايان ليقف خلفها :

– ما الامر توبي ؟

– إنها «تيدا» الفرس الجوزية اللون ذات القوائم البيضاء ، وجدها سام منذ ساعة . . إنها في دور المخاض وهي تجد صعوبة في الولادة .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– في المخاض ، لكنها لن تلد قبل شهر كامل .

– اعلم . . لكن سام قال في الليلة الماضية إنها مستعدة . ولأنني أعرف أن أوان ولادتها لم يحن بعد ، لم أفحصها اليوم . إنها غلطتي ، فالفرس في حالة سيئة ، والمهر فى غير اتجاهه الصحيح حاولت أنا وسام تغيير اتجاهه . . وها هي الآن في الاسطبل . .

الحقيقة برايان . . أننا قد نخسرهما معًا .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– هل استدعيت البيطري ؟

– أجل . . استدعيته هاتفيًا ، لكنني لم أجده فالفصل ربيع وقد تلقى دعوات طارئة قبلنا . ولا يعرف متى سيصل . أظن أن الأجدى مجيئك لإلقاء نظرة .

– قلت إن اتجاه المهر في غير مساره .

–هذا ما يبدو لى .

كادت شارلوت تقفز منتفضة حين وضع برايان يديه على كتفيها :

– لقد ساعدتني عدة مرات في توليد الابقار .

. أتودين المجيء الآن معي ؟

– أجل .

كانت موافقتها آلية . فالمزارع يعتمد على حيواناته ، وحين يصاب حيوان بإصابة خطرة يجند العاملون جميعهم أنفسهم لمد يد العون .

ورفع برايان صوته :

– وماذا عنك تشارلي؟ قد نحتاج الى خبرتك .

– قد يكون لدي الخبرة ، لكنني لا أملك فطرتك مع الحيوانات يا برايان ، سأثق بحكمك في أي موقف . فإذا وجدت أنك تحتاجني ، فسأحضر في الحال .

حمل برايان وعاء البطاطا فناوله الى والدتها :

– سأحفظ العشاء ساخن (قالت جينيفر) .

قالت شارلوت وهي تسير أمام برايان الى الخارج :

– تناولاه الآن .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أضاف برايان :

– ولا تزعجي نفسك بالحفاظ عليه ساخنًا فلن نمانع في تناوله باردًا .

وسار الثلاثة نحو الحظيرة ، يد برايان على ظهرها حتى يرشدها الى الطريق . . فعرفت على الفور ما ورطت نفسها به . . . فقد تمر ساعات وهي تلازم رجل ، يستحسن الابتعاد عنه . . . حاولت جهدها نسيان يده الموضوعة على مكان حساس من ظهرها ،

وركزت فقط على التفكير في الفرس المنتظرة في الاسطبل .

وعاد توبي للاعتذار :

– أف . . . أنا حقا اسف على هذا يا برايان .

– لهذ الفرس تاريخ مجيد في الولادات اليسيرة . .

لذلك لا نعرف ما إذا ستكون ولادتها المبكرة عسيرة .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فقالت شارلوت :

– على الاقل إنها الآن في الاسطبل بحيث لن نضطر للسير الى المرعى .

ابتسم برايان لها ، فخفق قلبها كبهلوان .

قال لها :

– كنت أعلم أنك ستجدين ناحية مشرقة في هذه الورطة .

فتمتم توبي :

– صحيح . . هذا إذا لم تمت الفرس .

كان هناك داخل الحظيرة شريطين كهربائيين ممتدين الى نهاية الاسطبل حيث أنار الضوء الكهربائي المعزل الخشبي . وكان سام ويليز ، الذي التقته شارلوت في نهاية الاسبوع المنصرم ، مع الفرس هناك ، عارياً حتى الوسطء يتنفس بقوة من التعب ، والعرق يبلل جسده كله . . حين شاهد توبي وبرايان ترافقهما شارلوت ، سارع الى قميصه ليضعه على كتفيه .

ركع برايان أمام الفرس دون الاهتمام كثيرًا بمن حوله :

- كيف حالها ؟

كانت الفرس مستلقية بهدوء فوق القش ، وقفت شارلوت الى جانبه متجاهلة سام الذي كابن يزرر قميصه . فرد سام :

- ليست بخير . . تنفسها ضعيف ونبضها غير مستقر كنت أحاول تحويل اتجاه المهر اللعين .

الفرس الجوزية اللون كانت تزبد متعبة من الجهد ، جلدها اللماع ينضح بالعرق .

تأوهت بانزعاج فربت برايان على عنقها .

وقال بعومة :

– اهدئي يا فتاة .

– احضر الصابون والماء . . . وليكن ساخناً .

عادت الفرس الى اصدار آهات خفيفة مؤلمة ، مما جعل قلب شارلوت يتمزق حزنًا عليها .

وعاد برايان لتهدئتها :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

- هوِّني عليك يا فتاة . . سنرى ما نستطيع فعله لاصلاح الامور . استريحى وادخري انفاسك حتى تحتاجينها .

مد يده يعاين بطن الفرس ثم وقف ، فسألته شارلوت بقلق :

- ما رأيك ؟

هز رأسه مضطربًا :

- لست ادري بعد .

عاد توبي يحمل دلو ماء قائلاً :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– ماء فاتر . . هو أفضل ما حصلت عليه .

رمى برايان قبعته الى سام وبدأ يفك أزرار قميصه . . فأحست شارلوت وهي تراقبه بغصة في حلقها لأنها رأت الانوار فوق رأسه تتلاعب فوق عضلاته . كان لون بشرته نحاسياً وشعر خشن يغطي جرءًا من صدره . . . لاحظت إنها تحدق فيه بشدة فأشاحت وجهها الى الفرس حيث ركعت قربها ، تهمس لها بصوت رقيق يبعث الهدوء في نفسها :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

حين انتهى برايان من غسل يديه عاد الى الفرس وركع قربها يحادثها :

– حسنًا يا سيدتي . . . سأرى إذا كان باستطاعتي مساعدتك .

مررت شارلوت يدها ببطء على عنق الفرس ، وتابعت التحدث إليها بصوت خفيض هادىء . . كانت الفرس الآن تتنفس شاهقة شهقات قصيرة متسارعة ، مرهقة بشكل خطير .

نظرت شارلوت الى الرجل الكفوء المجتهد

www.riwaya.ga مكتبة رواية

المنكب على العمل بسرعة لراحة الفرس .

فجأة أضاءت وجهه ابتسامة عريضة مشرقة :

– تبًا !

حبست شارلوت انفاسها ، هل وجد ما سبب تعسر الولادة ؟

– ما الامر ؟

رد برايان والبسمة ماتزال على وجهه :

– ليس غريباً أنك وجدت صعوبة سام . . كان عليك أن تعد القوائم . . ثمة مهران ،

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يحاولان معًا الخروج في الوقت نفسه . فلنسع الآن لاقناعهما بالتراجع قليلاً ، ليكون كل شيء على ما يرام .

علت ابتسامة تشبه ابتسامته وجه شارلوت :

– أكلاهما حي ؟

ولادة تؤام جياد حدث مهم .

– إنهما يرفسان معًا .

كان العرق يتفصد من جبهته ومن شعره الاسود . . الصمت الثقيل الذي سيطر على

www.riwaya.ga مكتبة رواية

المعتزل ارتفع فجأة ، فأضاءت الجو بسمات الامل . . حتى وجه توبي الذي اثقله الذنب ابتسم الآن .

– أعطني حبلا توبي . . إذا استطعت الامساك بالقائمتين الصحيحتين لمهر واحد . فنستطيع بذلك افساح المجال للآخر حتى يخرج .

خرج توبي وعاد بسرعة ، راقب الجميع برايان يكافح ليحقق ما يريد ، كان العرق ينضح

www.riwaya.ga مكتبة رواية

همنه ، وعضلاته تتقلص وتتحرك بقوة ، ها هو المزيج الذي تحدث عنه لدونالد : القوة ، المهارة ، والذكاء ، عضلات وعقل . وتمتم :

– قبضت عليه .

استرخي لحظة يسترد انفاسه ، ثم نظر الى شارلوت :

– أتفهمين ما أود فعله ؟

هزت رأسها :

– أجل . . . أعتقد هذا .

– تعالي وساعديني إذن . .

تقدمت لتركع قربه فأردف :

– خذي الحبل وأديري المهر الخلفي بينما أشد الثاني الى الخارج .

عملا بحركات منسجمة ، متكاتفين مع ضعف الطلق عند الفرس . كان العمل العنيف في المجال الضيق يشمل التلاصق الجسدي بينهما ، وهذا أمر لا مجال لتجنبه . . . مع ذلك لم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تكن شارلوت تحس سوى بالقوة التي كانت تندفق من جسده القوى الحار الى جسدها .

حين ظهرت قوائم ووجه المهر الصغير ، ارتفعت تهليلة فرح من توبي وسام ، وحدقت عينان كبيرتان واشعتان بوجه شارلوت التي كانت عضلاتها مشدودة ترتجف من الجهد . ومن عمق ما لديها من فائض ، وجدت القوة لتضحك ، فرحاً . بعد لحظات كان المهر ممددًا على القش يجففه توبي .

قال برايان متعبًا مبتسمًا لشارلوت :

– ولد الاول ومازال أمامنا الثاني .

تنحت عن طريقه السعادة أنعشتها ، سعادة لم تألف مثلها من قبل . اسندت نفسها الى الجدار الخشبي وراحت تراقب ولادة المهر الآخر ، وبعيدًا عن اعتراض توأمه كانت ولادته سهلة .

صاح تويي :

– مهرتان ، لهما جمال امهما .

استقام برايان قاعدًا وسأل متعبًا :

– وكيف حال الام ؟

– أمهلها دقائق وستراها واقفة لتعاين فتاتيها الصغيرتين .

بدت على سام نظرة الأب الفخور .

أعرضت شارلوت بصيرها عن منظر المهرتان الجميلتان وحطته على برايان الذي كان يتوجه الى دلو الماء لينظف نفسه . . لقد انقذ لتوه حياة الفرس ومهرتاها . . لكنها تعلم أن ما

من أحد سيهنئه على انجازه ، فهذا جزء من عمله ، لكنه عمل يحتوي على نظام مكافأة خاصة به فهاتان الجميلتان أشعرتاه بجمال عملية الولادة .

لم يكن هناك منشفة ليجفف يديه فيها ، فتناول قميصه . شاهدها تنظر إليه فابتسم ، ثم ارتدى قميصه فوق جسده المبلل ، لكنه لم يزرره . حين تقدم نحوها وقفت ، إنها لم تبذل جهدًا كالذي بذله ولا أمضت الوقت الذي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أمضاه . وها هي جالسة وها هو واقف ، وهذا أمر صححته فورًا .

حين وقفت ، تدحرجت الفرس حتى تجمع قوائمها تحتها ، بعد المحاولة الأولى الواهنة ، نجحت الفرس الجوزية اللون في الوقوف ، وأدارت رأسها وأوقفت أذنيها باتجاه المهرتين ثم صهلت بصوت منخفض . انتفضت المهرتانت الصغيرتان خوفًا من عالمهما الجديد . إحداهما أرجعت شفتيها الى الوراء تحاول تقليد رد أمها فالتفتت الفرس فوق القش

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وأخفضت رأسها تتفحص صغيرتيها . فقال لها برايان :

– من السكر والطيب كل شيء يطيب . . هذا ما حصل «تيدا» .

أكان يعني ما يقول أم لا ، فقد أطلق اسم «سكر» و «طيب» على المهرتين . فقالت :

– إنهما جميلتان .

انسَّلت يده من كتفها الى خصرها ليمسك بها

. فلفت ، آليًا ذراعها على خصره العريض

لتكمل تواصلهما الذي بدا لها طبيعيًا . . .

قاتل برايان بسرور :

– انظروا .

ساد صمت مترقب فى نفوس المتفرجين الاربعة

الذين كانوا ينظروت الى القش المتحرك تحت

قوائم المهرة الصغيرة ، ذات الدمغة البيضاء

التي كانت تقوم بأولى محاولاتها للوقوف .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

دفعتها أمها بأنفها مشجعة بعد سقوطها الاول . فحاولت ثانية لكن رأسها كان ثقيلاً وقوائمها طويلة نحيلة .

وقفت المهرة بعد نضال على قوائمها الاربعة ، ثم راح ذنبها يلوح دليل الانتصار . وكان واضحا أن هذا هو الدليل الذي كانت تنتظره توأمها ، فسارعت الى محاولتها الأولى . .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ابتسمت شارلوت وهي ترى المهرتين تحاولان السير . . لكن قوائمهما بدت لا تعرف هدفها .

أحست بغصة في حلقها وهي ترى منظر الأم وصغيرتيها الغريب الجميل الذي يعود عمره الى عمر الحياة فوق الارض .

قادت الغريزة المهرتين الى درة أمهما التى راحت تساعدهما بعض الشيء. بدأت

المهرتان بالرضاعة بجوع ، رأساهما مرتفعان ، قوائمهما منفرحة ، وذنباهما يلوحان . .

قال توبي :

– أظن أن هذه العائلة لم تعد بحاجة إلينا .

وسار نحو الباب يقصد الفلاء خارجًا . .

ورافقة سام :

– أجل . . من الافضل الذهاب لتناول العشاء . هذه قبعتك برايان .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وبدا على ملامح سام الاحترام والتقدير له .

. أخذ برايان القبعة ليضعها على رأس

شارلوت :

– أراكما في الصباح يا رفاق .

أضافت شارلوت :

– تصبحان على خير .

فردا عليها معًا :

– تصبحان على خير .

حين كانت تصغي الى وقع الاقدام المبتعدة لم تحاول التحرك للخروج من الاسطبل ، أو للابتعاد عن برايان . . فثمة أمان ورضى حيث هي ، ولن تتخلى عنهما بسرعة .

– جائعة ؟

لم يتفوه إلا بكلمة واحدة بصوت مخفض .

فردت بصوت مماثل :

– لا . . لقد نسيت الشعور الذي يرافق مراقبة الولادة ،

www.riwaya.ga مكتبة رواية

والمشاركة فيها .

– إنها معجزة الحياة .

هزت راسها :

– إنها تحدث طوال الوقت . . إنها حدث مستمر ، لكنه يبقى جديدًا دائماً .

– لأنها دورة الحياة . . . تحقيق الوعد في موسم التزاوج . الأمل المولود حين بدء دورة الحياة من جديد .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تابعت شارلوت مراقبة الفرس ومهرتاها .

وقالت :

– هذا ما يجعل ولادة الاطفال حدثًا رائعًا .

– أعتقد أنك تخططين للبدء بإنشاء عائلة فورًا .

كهرب توتر مفاجيء أعصابها ، واحست بأنها بحاجة للدفاع . . . فحاولت الضحك ، لكنها أصدرت صوتًا هشًا :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

- لا تنسى أن لدي عملي يا برايان .

وسأحافظ عليه عدة سنوات . . . فالعارضة لا تخاطر بافساد جسدها ومستقيلها من أجل انجاب طفل .

- لكنك لن تتوقفي عن العمل قبل الثلاثين .

- أجل أعرف هذا .

وتعرف كذلك المخاطر الكامنة وراء الحمل في مثل هذه السن كذلك لكنها حاولت ألا تظهر خوفها بل سعادتها وعدم اكتراثها .

- وكم حجم العائلة التي تريدين انشاءها ؟

رأت بطرف عينها انحناءة رأسه وهو يمعن النظر فيها ، فقالت متمنية بصوت مرتفع :

- أربعة ، خمسة ، ستة .

لكن سرعان ما صدمها الواقع فأضافت :

- لكنني قد أرضى بولد واحد سليم الجسد.

- وكم ولدًا يريد دونالد ؟

كان صوته يشير الى معرفته بأن سؤاله سيولد انفجارًا فارتفع رأسها :

– لماذا تحب دائما قراءة ما بين السطور ؟

كادت الدموع تفر من عينيها ، وارتد بصرها عنه حتى لا يراها ، لكنه ألح في السؤال :

– إنه في الواقع لا يرغب في الاولاد ؟

لن تعترف بهذا له . فأجابت :

– إنه يريد صبياً واحدًا ، وقد اضطر الى الانجاب أكثر من مرة حتي الد له صبيًا .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بدت قوة غضب برايان وكأنها تملأ الصمت الذى ران بينهما . . ثم هدر صوته بنغمة خفيضة خشنة :

– يريد ولداً واحدًا وأنت تريدين نسلاً كبيرًا . إن تضاد وتضارب آراءكما سيجعل زواجكما جحيمًا . . هذا إذا تمَّ .

دافعت شارلوت عن نفسها :

– يقان إن الأضداد تتجاذب .

لكنها فزعت من الصورة التي يرسمها . وبقيت تحاول رسم صورة دونالد وهو يحمل طفلهما ، لكنها لم تستطع منع تصور الطفل يتقيأ على قميصه وربطة عنقه الحريرية .

أمسك برايان كتفيها بغضب وأدارها إليه ز

– أيتها الحمقاء ، الشخصيات المتضادة تتجاذب فقط حين تكمل بعضها بعضًا . . متى ستفتحين بصيرتك على الحقيقة بحق الله ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لكنها فتحتها . . وأذبلتها تلك النار الخطرة السوداء التي تحترق . في نظرته ، فذابت دفاعاتها بحرارتها الغامرة . . . وبدا أن نوعًا متوحشاً من القنوط يلمع في عينيه ، وهو يسألها بنعومة :

– كيف لا يرغب أي رجل في أطفال منك ؟

ضمها الى دائرة ذراعيه ، وسحقها على صدره . ثم راحت ذقنه تحتك بجبهتها ، ويده تتلمس شعرها ليشدها الى كتفه . أعطاها عناقه

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الراحة والدعم وكانت بالفعل تحس بالوهن والحاجة إليه . . فهي تشعر بأنها منهكة ممزقة المشاعر .

قال لها محذرًا :

– افسخي خطوبتك شارلوت ، قبل أن تحطمك .

فهمست متألمة :

– لكننى سأتزوجه .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لم كن هناك ما يفصلها عن صدره ، فقميصه مازال مفتوحًا ، وراحه يدها تقبع على لحمه القاسي الذي يغطيه شعر خشن تشعر به على وجنتها . امتزجت في أنفها رائحة الصابون والقش وخاصة رائحة الرجولة نفسها .

داعبت ذقنها يد خشَّنها العمل ، رفع بها رأسها إليه . أمعنت نظراته في وجهها ، ثم حطت على شفتيها تستقر هناك . . وتمتم :

– كيف أقحمت نفسي في هذا الموقف . . لا بد أنني أغبى المخلوقات .

فصححت له كلامه هامسة :

– لا . . بل أنا أغبى المخلوقات .

واختنق صوتها في صدره ، بينما كانت نشوة الابتهاج تغمر صدرها ، أحست مدى الفرح في خفقات قلبه تحت يديها . كانت بشرتها تحترق تحت ملمس يديه ، وأصبحت الرغبة ألمًا يعذبها حتي راحت تلتصق به بليونة علها

تخفف ألمها ، وارتجفت ارتجافة الشوق إليه متأوهة تهمس اسمه . لكنه صاح :

– تبًا شارلوت . . . أنا كبير السن على كل هذا . والعناق لا يرضيني أو يشبعني . أريدك كما أريد أن أرضي رغباتك .

بدأت بذرة الرعب الأولى تنمو وتقوى داخل جسدها الذي أضحى دون عظام . . فقالت :

– لا تطلب مني يا برايان .

فضغطت أصابعه على بشرتها وكأنه يعاقبها :

– وماذا تعنين بقولك هذا ؟ أمن المفروض أن أفعل بك ما أريد دون اعطائك فرصة للقبول أو الرفض ؟ أم أنك تقصدين الرفض ؟

حتى هي لم تكن واثقة مما تعنيه ، لكن كلماته الفظة جعلتها متأكدة فقالت بارتجاف :

– إنه الرفض .

جذبت نفسها من بين ذراعيه ، وأشاحت وجهها عنه لئلا تكشف تعابير وجهها حقيقة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مشاعرها بسهولة . . ووقف يراقب توترها لحظات ، ملتقطًا أنفاسه بصعوبة ، متمتمًا بغضب ، ثم انحنى ليلتقط قبعته التى وقعت عن رأسها ، وضربها نافضًا عنها الغبار ، ثم وضعها على رأسه وانزل طرفها فوق وجهه . . شاهدته بطرف عينها يزرر قميصه لكن عينيه لمحتا نظرتها إليه . فقال ساخرًا :

– إذا كان منظر صدر رجل يزعجك فأشيحي بصرك بعيداً .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ثم تابع تزرير القميص ودسه تحت سرواله .

فقالت :

– لك أن تغضب . . . إنها غلطتي وأنا آسفة .

– آسفة ! إذا ظننت أني سأعتذر فأنت مجنونة

.

– تبًا برايان . . . كنت أحاول أن . . .

أن ماذا ؟ لم تعد تعرف ماذا كانت تحاول أن

تفعل .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أجل . . ربما حان الوقت حتى تشرحي ماذا تحاولين أن تفعلي .

– مرحبًا . . . برايان . . . شارلوت ، أمازلتما هنا ؟

كان هذا صوت أمها الذي تعالى .

أُنقذت شارلوت من مشقة الرد على سؤاله ، وأجابت :

– نحن هنا يا أمي .

دنا وقع خطى شخصين ، الثاني كان والدها الذي سارع يقول :

– قال لنا توبي لتوه إن الفرس أنجبت توأمًا .

فجئت وجينيفر لرؤيتهما .

وقفا خارج الاسطبل ومالا فوق الحدود للنظر الى المهرتين ، وكان من حسن الحظ أنه لم يكن الكلام مطلوبًا من أي منهما . حين كانت الأم تصيح بجمل مذهولة عن العائلة السعيدة ، كانت شارلروت تمر في توتر لا تحتمل .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وبرايان ، الذي نادرًا ما يظهر أحاسيسه كان يبدو مشدود الاعصاب أكثر من المعتاد.

قالت الأم :

– لا بد أنكما الآن تتضوران جوعاً . وضعت وعاء الحساء على النار ، وطبق السندويشات على الطاولة . . ومن الافضل أن تعودا الآت لتأكلا قبل أن يغمى عليكما جوعًا .

كانت معدة شارلوت كتلة أعصاب متوترة ، والطعام آخر ما تريده . لكنها غير مستعدة للدخول في شرح مطول مع والديها .

– ألن تأتي يا برايان؟

– لا . . . فأنا متعب ، حتى فقدت شهيتي للطعام .

فابتسمت شارلوت لوالديها تحاول المزاح :

– هذا يترك المزيد من الطعام لي . . . أليس كذلك ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بينما كانت تغادر الحظيرة بخطوات مضطربة .

. أحسن بأن عيني برايان تحرقان ظهرها .

8– قلوب راعدة

كانت الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر يوم الجمعة ، حين , قادت شارلوت الجواد الكستنائي المسرج خارج الاسطبل . في ذاك النهار لفحت أشعة الشمس ظهرها ، وسكن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الهواء . اعتلت ظهر الجواد جيدًا ثم شدت عنانه ليتوجه الى بوابة المرعى . . كان برايان الى الجهة الأخرى من الاسطبل المسيج ، يعتلي صهوة جواد كتسنائي كبير قوى العضلات . كان قد خرج لتوه من باحة المزرعة ، لكن لدى سماعه صوت صليل ركاب سرجها ، شد لجام جواده لينظر إليها . تعثر عليها تغيير طريقها لكنها تابعت مسيرها مستقيمة الكتفين متوجهة الى البوابة التي شرعت تفتحها . . راقبها برايان ، فتحت

www.riwaya.ga مكتبة رواية

البوابة ثم تسللت عبر الفتحة الضيقة . بعد ذلك نحت الجواد لتستطيع إقفالها ، وهى على غير عجلة في تحركها .

حين انتهت من اقفال الباب قال لها :

– لقد انهيت لتوي تحذير الرجال ، لذا من الافضل أن أحذرك أيضًا . من الآن وصاعدًا ، يُمنع التدحين بتاتًا في المرعي . وإذا اضطررت للتدخين فتأكدى جيدًا من إطفائها .

عبست شارلوت وتقدمت نحوه . . تحذيره ليس عفويًا ، ولا بد أن شيئًا ما دفعه إليه :

– ولماذا ؟

– حدث حريق من جرَّاء أشعة الشمس قرب البلدة هذا الصباح ، وقد لوحظت من حسن الحظ النار فتمكنوا من اطفائها .

سألت وهي لا تصدِّق ما تسمع :

– حريق في مثل هذا الوقت من السنة ؟ يا إلهي ! كيف سيكون الحال صيفًا ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– جحيمًا إذا لم تمطر .

ووجهه جواده المتحفز نحو البرية . . فسألته :

– الى أين ؟

– سأذهب الى النهر لاتقصّى وضع القطيع .

تردد قليلاً قبل أن يتابع :

– أرحب بقدومك معي . . إذا أردت .

كانت لهجته قاسية ليس فيها أدنى اكتراث ،

فحاولت الرد عليه باللهجة نفسها :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– قد أرافقك بعض الطريق .

واطلق العنان لجواده الذى قفز الى الامام بسرعة ، فما كان من شارلوت إلا أن حثت مطيتها لتحذو حذوه . . . تبعته شارلوت وهي تحس بغضبه ، دنا جوادها من جواده ومع ذلك لم يظهر اقل اهتمام بها . . عندما وطىء جواده أرضا مستوية مستقيمة ، انطلق يأكل

المسافة أكلاً ، وتبعه جوادها .

سرعة الجواد جففت عرق عنقها وبردت بشرتها . . كانت شعرها الذهبي الطويل تحت القبعة ، لكن بضع خصلات تحررت منه والتفت حول ياقة قميصها . اخفضت طرف القبعة الى الاسفل لتغطي عينيها مانعة عنها أشعة الشمس الساطعة . ورغم انقطاع الاتصال بينهما إلا أنها وجدت السير قربه على التلال مثيرًا رائعًا ، كما وجدت نفسها تتبعه عن قصد بدل الانطلاق على هواها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مستمتعة بالارض المنطوية تحت أقدام الجوادين اللذين يعتليانهما .

عندما اقتربا من ضفة النهر خفف برايان سرعة جواده ، فانسحق العشب الاصفر الجاف تحت حرافر الجوادين ليرافق صوته صليل السرجين والجلد واللجام . كانت الابقار منتشرة فوق الارض ، بعضها يرعى وبعضها يجتر ما تناوله من عشب . وبعضها يسرِع الى أُمَّاته خوفًا من الفارسين .

توقفا على ضفة النهر ، حيث كان التيار فيه بطيئاً وكأنه راكد ، أما ماؤه فبدا أحمر ضحلاً . فقالت :

– لا أذكر أبداً أنني رأيته منخفضاً الى هذا الحد .

– أعلم .

– وماذا ستفعل ؟

رفع نظره الى الشمال نحو الجبل :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أدعو الله أن تكون تلك الغيوم مفيدة لا سرابًا .

نظرت شارلوت بدهشة الى الغيوم العاصفة المتجمعة فى الافق ، هذه الغيوم التي لم تكن قد شاهدتها من قبل .

– إنها تتجمع بسرعة . . ربما تكون عاصفة !

– فلنأمل ألا يكون تكهنك فارغًا فالطقس حار . . ومن الاجدى امهال الجوادين حتى يستريحا .

حين ترجلت شارلوت كان برايان قد قفز الى الارض ، ليفك رباط الخصر عن جواده ، وحذت حذوه فصدر عن الجواد صهيل الارتياح . قاد برايان الجواد الى ظل شجرة حور ، بدأت أوراق أغصانها تبرز حديثًا وسمعت قبَّرة مروج تزقزق أمامها ، فقالت :

– تبدو الماشية فى حالة جيدة .

لكنه لم يرد على ملاحظتها وبعد طول صمت سألها سؤالاً مخالفًا :

– عندما كنت تكبرين ، ما كانت فكرتك عن الزواج ؟

جعلها السؤال غير المتوقع تتصلب :

– لا أظنني أرغب في دخول نقاش كهذا معك .

– لا أسألك ما هي فكرتك الآن . . بل ما كانت عليه فكرتك في مراهقتك .

– اتخذت والدي مثالي . . الزوجة تطبخ ، وتنظف ، وتعمل في الحديقة .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– والاولاد ؟

– أجل . . مع الاولاد .

لكنه لم يلاحق الموضوع :

– هل أردت العيش في المدينة أم الريف ؟

– في الريف طبعًا . مثل والداي . . حيث يكون لي جياد ومكان لأمتطيها ومن الطبيعي أن أحلم بذلك لأنه كان كل ما أعرفه .

– لكن بعد أن أمضيت ست سنوات في سيدني ، تفضلين العيش في المدينة ، في شقة .

– لا . . لا أفضل هذا . بل اجب إن تكون إن منزل فى الريف لكن نظراً لمصالح أعمال دونالد ، استتنسب العيش في المدينة .

– أينما يذهب تذهبي معه . . يا لنبلك وتضحيتك !

– أسمع . . إذا كنت ستبدأ بهذا مجددًا . . فأنا . .

– لا تصغي إلى . . بل اصغي لما تقولينه أنت . . تريدن منزلاً فى الريف حيث تستيقظين مع

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الشمس . . وأولاداً تأوينهم الى أسرتهم ليلاً . . . تريدين أن تكوني زوجة وأمًا ، لا امرأة صورتها على غلاف المجلات . . . فهل هذه هي الحياة التي سيؤمنها لك محبوبك ؟

– أعرف تماماً ما هى الحياة التى سأحياها معه ، وأنا أقبل بها .

– أصحيح هذا يا شارلوت ؟ هل قبلت بواقع أنك لن تكونى راضية تمامًا عن حياتك ما

تبقى منها ؟ إنه وجود لا معنى له يوفره لك بالمقارنة مع ما تريدينه من الحياة .

– لكنني سأكون سعيدة .

– صحيح ؟

– وما شأنك ؟

ران صمت مميت صحبته نظرة باردة قاسية رمقها بها . . كان صمته يبعث التوتر في النفس أكثر من كلامه . لذا أحست بالراحة حين تكلم أخيرًا :

– تستحقين الضرب على هذه الملاحظة .

– وأراهن أنك تتحرق . . شوقًا عن تكون أنت الضارب . . لا شأن لك في هذا كله . إنها حياتي وأنا حرة بها .

– حياة يُوشك أن تجعليها على شفير الهاوية . لقد مرت بنا أوقات كنا نتناقش فيها ونحل مشاكلنا . . كنت تطلبين مني النصيحة ، أما الآن فأنت لا تصغين حتى للمنطق .

ردت نظرها إليه يائسة :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– لم يعد الامر كما كان . الامور اختلفت فيما بيننا .

كان في النفس الحاد اللي زفره ضحكة ساخرة :

– على الاقل لديك ذكاء كافٍ لتلاحظي هذا .

– أنت غير منصف بحقي . وقد بدأت أقول لنفسي « ليتني لم أرجع » .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– صدقيني . . وأنا أيضاً أقول «ليتك لم ترجعي» .

من البعيد ، تناهت الى أسماعهما أصوات الرعد . . فرفعت نظرها الى السماء . . كانت السحب تتدافع لتحجب الشمس ، أما البرق فطفق يومض داخل الاسوداد .

– اتظنها عاصفة ؟

كان قد تقدم الى جواده مبتعدًا عن الاشجار . .

– لا يوجد نحل في الجوار ، ولا ذباب يطير. . بل لم أرَّ عصفورًا منذ خمس دقائق . . إنها عاصفة . إن كنت لا ترغبين فى أن تداهمك فلنسرع في العودة الى المزرعة .

أحست بالحاحه الهادىء ، فسارعت الى ربط الحزام مجدداً . جعلتها الدلائل الطبيعية تدرك أنه كان يراقب ما حولهما وهما مستغرقان في الحديث .

– لعل المطر لا يداهمنا .

كان برايان فوق صهوة جواده حين بدأت اعتلاء جوادها فرد عليها :

– لن اقلق إذا تبللت .

وكز جانبي جواده ليرسله راكضًا الى الامام .

. واختلطت رعدة ثانية مع وقع حوافر الجوادين .

. وانطلقا بسرعة ، يحاولان مسابقة الغيوم المتسارعة في السماء دوي الرعد قريبًا ، ولمع البرق خلفهما .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كانا في منتصف الطريق الى المزرعة حين صدمت أول قطرة ماء وجه شارلوت ، وتبعتها أخرى فأخرى . . وضرب البرق بسوطه السحب ، وانهمر المطر. راح جوادها يشد بقوة ويقاوم متوترًا اللجام ، وذلك حتى يعدو سريعًا . . لكنها لجمته لتنظر الى برايان .

هطل المطر المنشود بشدة . . تطاير الفرح من عينيها ليصبح بسمة على شفتيها . . لكنها لم تجد تجاوبًا على أساريره المتجهمة . قفز جوادها الى الجانب لدى لمعان البرق أمامهما

www.riwaya.ga مكتبة رواية

، وأحست شارلوت بذبذبة الرعد المصم للآذان ، وأقبلت الريح تعصف بحبيبات المطر لتجعلها مندفعة كالشلال ، فابتلت ملابسها والتصقت

بجسدها .

برق شديد تبعه آخر ، ثم آخ فآخر ، حتى أحست أن الجو حولها مشحون بذرات كهربائية . . . وشحذ الخطر أحاسيسها بعد أن أدركت أنهما سيكونان هدفًا لزنار النار

المتدفق من الصواعق ؟ وصاح بها برايان فوق صوت الرعد :

– يجب أن نتخذ لنا مكانا نلجأ إليه ! من هنا .

وأشار الى طبقة بارزة من الصخر الرملي أمامهما في أسفلها تجويف بفعل عوامل الطبيعة . . فغيرا اتجاههما وتسابقا نحو الملجأ . . . كانت حافة الصخرة المحفورة مرتفعة

بحيث تسمح للجوادين بالدخول تحتها ، بعيدًا عن البرق وسياطه .

صهل الجواد المخطط وتراقص متوترًا حين كانت تنزل عنه . كانت الحفرة في الصخر الرملي عميقة ، لكنها لا تزيد عن ستة أمتار تسمح للجوادين بالوقوف جنبًا الى جنب . اتقاء المطر . . . أما هما فتصاعد البخار من جسديهما المبللين بالمطر .

قالت شارلوت ضاحكة :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– واو . . ! ما هذه النزهة ! ثيابي كلها مبللة .

أمسكت بقماش قميصها لتبعده عن بشرتها ولتظهر شدة بللها . . فنظر إليها برايان . . أحست وهي ترى تلك النظرة السريعة أن قميصها التصق بصدرها كاشفًا عن شكله ، خاصة وقد غدا القماش المبتل شفافًا ، فأحست بالحرارة تسري في عروقها .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لكنه أمسك بلجام فرسها وأعرض عنها قائلاً :

– تبدين كفتاة صغيرة بشعرك المعقوص داخل القبعة . ثمة صخرة جافة هناك اجلسي عليها اتقاء المطر .

دنت من مؤخرة الحفرة الصخرية وجلست على مرتقع قرب الجدار . أما برايان فربط الجوادين بشجيرة شائكة . خلعت قبعتها اذا ما تحتها جافًا .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

- كم ستدوم العاصفة بحسب ظنك ؟

تقدم برايان الى حيث تجلس وأجاب :

- إنها أعنف من أن تبقى هكذا طويلاً .

مع أن هناك مكانًا واسعاً على الصخرة إلا أنه لم يحاول الجلوس ثم مد يده الى جيبه وأخرج علبة تبغ ليلف سيكاره . سألها :

- أمازلت تذكرين كيف تلفين سيكارة ؟

كانت نظرته لطيفة رقيقة . . وكأنه يتذكر من الماضي مناسبات سعيدة . أعطاها التبغ والورق :

– أريني كيف ؟

ابتسمت بثقة ثم تناولت منه التبغ ، فجلس القرفصاء قربها يوازن نفسه دون جهد على عقيبه . وضعت الورق المستطيل الشكل بين اصبعيها ، ورمت كمية وافية من التبغ من

العلبة في منتصفه ، ثم نشرت بطرف اصبعها التبغ فوق الورقة ، ورمقت برايان :

- هل هذا صحيح ؟

وبعد ذلك رفعت طرف الورقة لتلصقها بلسانها ، وقبل أن تبدأ مد يده بسرعة :

- أعطني إياها لأنهيها .

فانتفضت مذهولة من تصرفه وسألته بحدة :

- لماذا ؟ ماذا ارتكبت من خطأ ؟

- لا شيء .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ولف الورقة حول التبغ .

– كل ما في الامر أنني نسيت ما يفعله منظر لسانك الوردي لى .

بعد أن أشعل اللفافة سألته :

– لماذا قلت هذا ؟

– إنها الحقيقة . . فلماذا لا أقولها ؟

– دون سبب .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– ولماذا يزعجك أن تعرفي أنك تثيريني ؟ لا يثيرني فقط لسانك الوردي بل كل شيء فيك : جسدك وجهك صوتك الجميل حين أثيرك .

– لا . . هذا غير صحيح .

– بل تصدر عنك أصوات حين تثارين .

وجذبها إليه ليبرهن لها عن هذا .

هزت رعدة الارض تحت قدميها ، لكنها لم تشعر بالفرق بينها وبين ضجيج الرغبة التى سرت فى جسدها . فقد كان البرق شاحبًا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بالمقارنة مع لهيب النار التى كانت تشتعل

داخلها ، بعد أن احتواها

بين ذراعيه .

دفعت الريح قطرات من الماء فلفحت وجهها

لكنها ما كانت تعى شيئًا مما حولها . كانت قد

فقدت السيطرة على نفسها ، تقف على

قدميها فقط لأنه كان يمسك بها . . . لكن ،

هذا كله لم يكن كافيًا لها . . أرادت المزيد . .

وانسل صوت جائع ، متحشرج منها فهمس برايان في أذنها :

– أسمعت هذا . . . ؟ ذلك الصوت البرى الراغب الذي انسلّ منك .

راحت تلتفت وتتلوى لتعاود القبض على عنقه ، لكنه راوغها ، فقالت أخيرًا :

– أجل سمعته .

– أتصدرين أصواتًا كهذه له ؟

– برايان . . . أرجوك !

www.riwaya.ga مكتبة رواية

- اخبريني . . . اللعنة عليك !

فاعترفت بهمس متحشرج :

- لم يكن الامر هكذا بيننا قط يا برايان . . . قط .

شدها بقوة إليه كأن حاجزًا كان بينهما تدمر . . كانت مكافأة اعترافها موجة جديدة من العناق المشتعل الذي جعل ما مرَّ بها من عذاب منذ لحظات هباء . واستسلمت للشعلة بحماسة ورضى .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ضربت صاعقة السماء فشقتها ثم سقطت قرب الملجأ المحفور فى الصخر ، فصهل الجواد المخطط ذعرًا . . وشد وثاقه فتراقصت قوائمه الخلفية المرتدة ولامست الجسدين الملتحمين فدفعتهما وأفقدتهما توازنهما ، فكان أن وقعا ارضًا . . لكن برايان سارع الى أن يدحرجها مبتعداً عن حوافر الجواد ثم شدها ليقف معها على الفور . . ويحاول بصوت أجش تهدئة الجواد :

– اهدأ يا ولد . . اهدأ .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كان الجواد يوشك علي الافلات . . فقفزت شارلوت الى الصخرة تبتعد عن طريقه المتوقعة ، تشد ياقة قميصها بيدها . وضع برايان يده على ظهر الجواد وتقدم ببطء الى رأسه ، فاستدارت عيناه وصهل . لكنه لم ينتفض من اليد التي امتدت الى لجامه ، الذي كان مازال موثقا إلى الشجيرة الصغيرة .

بينما بقي برايان هناك ليهدىء الجواد ، بدأت شارلوت ترتب ثيابها بيد مرتجفة ، مضطربة لأنها كادت توشك على ضرب مبادئها

الاخلاقية والقيم التى تربت على احترامها عرض الحائط .

لكن ، كيف لها أن تحب رجلين ؟ إنها مخطوبة الى رجل وتعشق آخر .

حين وقفت على ساقيها الوهنتين ، جذبت حركتها اهتمام برايان . فربت على عنق الجواد وشد رباطه ، وعاد إليها ؟ مد يده ليداعب ساعديها . . كان البريق في عينيه يقول إنه يرغب في الاستمرار من حيث توقفا

، وكان الاغراء حلوًا لها ، فاسترخت يداها بشكل طبيعي على خصره ، الكنها لم ترم نفسها بين ذراعيه . بل قالت باضطراب :

– أنا مخطوبة .

– اتذكرينني أنا بهذا أم تذكرين نفسك ؟

– ثمة أشياء كثيرة . . . أجد صعوبة في فهمها .

اشتدت قبضته عليها يطالبها بالانتباه الكامل :

– احبك شارلوت فما الصعب فهمه في هذا

؟

– لا . . !

– بلى . . . أحبك . . . أحببتك منذ سنوات . . كنت طوال الوقت كالجواد الذي لا فرس له . . . وفى هذا الوقت عشت جحيمًا مستعرًا

.

جعلت صدمة اعترافه وجهها يبيض من

الشحوب .

– لا أصدقك . . لم تحبني قط .

– بل أحببتك منذ وقعت عيناي عليك . . كنت فى الرابعة عشرة من عمرك في بدء نمو الجسد الطفولي . . لكنك كنت جميلة مع ذلك وحاولت أن أقنع نفسي بأن جمالك هو الذي اسرني ، لكن خلال أشهر فقط عرفت أنني وقعت في حفرة أعمق من هذه .

جذبت نفسها من قبضته :

– لا . . هذا غير صحيح . فأنت لم تشر الى هذا قط . ولا حتى حين . . .

– حين أحببتني . لم تكوني قد بلغت الخامسة عشرة يومها . وأنا كنت في الثالثة والعشرين . صدقيني . . كنت أميل الى أن أرعى ذلك الاعجاب المراهق ، لكنني لم أثق بأننى قد أكتفي بالحب البرىء الذي كنت أنت مستعدة لتمنحينى إياه . لذلك طرحته أرضًا ، ورجوت الله أن استطيع إيقاظه مرة أخرى حين تنضجين .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مررت شارلوت أصابعها في شعرها دليل الاثارة التي شعرت بها . . كان برايان دومًا بارعًا في اخفاء أفكاره ، تعرف هذا . . . لكنها أحست بالفزع مما يكشفه لها . وتابع :

– وخلال ذلك الوقت ، كنت مضطرًا للاصغاء الى حديثك الطفولي عن مواعيدك الغرامية ، وكنت تصفين لي كيف كان الشبان أحيانا يقبلونك ، وتسالين ما إذا كانوا بارعين في هذا أم لا . كادت مراهقتك تدفعني الى الجنون من الغيرة .

أعرضت عنه وهي مقتنعة لكن مع شيء من الشك :

– لماذا لم تشر قط الى اهتمامك بِي ؟ ليس في البداية ، لكن على الاقل حين كبرت قليلاً .

– فعلت هذا حين كنت فى السابعة عشرة . . فذهبت الي والدك وأخبرته . . .

أحست بالارض تميد تحت أقدامها :

– ذهبت إلى والدي ! أيعلم بمشاعرك ؟

– أجل . . أخبرته أني أحبك وأنني أريد التودد إليك ، إذا كان لا يعترض .

– وهل منعك ؟ أفعل هذا ؟

– ارتاب بادئًا ، فقد كنت أكبر منك بكثير ، وأكثر خبرة . لكنه احترمني لأنني قصدته أولاً قبل أن أظهر اهتمامي بك ، وأذن لي .

أحست بالارتباك :

– لماذا إذن لم تتقدم مني ؟

– فعلت .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– متى .

– حين تشاجرت مع صديقك لاعب كرة القدم .

تدفقت الذكرى . . فقالت متسعة العينين :

– وقلت لى يومها إنك على استعداد لمرافقتى الى الحفلة الراقصة مساء الجمعة .

– وكما اذكر خذلتنى بصراحة ، قائلة إنك لست يائسة الى درجة القبول بمرافقتي .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ظهر البرود في عينيه وهو يتذكر كلمات رفضها ، سارعت لتدافع عن نفسها :

– أنا . . . أنا . . . ظننتك تمزح . . . وقد حسبتك تعرض عليَّ ذلك شفقة . . . لم أكن أحلم . . .

– لا . . . أبدًا . . . وهكذا قررت الانتظار قليلاً الى أن تعتبرينني رجلاً بدلاً من كتف ملائم تصبين مشاكلك فوقه . وكان لسوء الحظ ، أنك وضعت تلك الفكرة المجنونة في

www.riwaya.ga مكتبة رواية

رأسك ، فكرة أن تصبحي عارضة ، وسافرت الى المدينة .

– لم أفهم يومها عنف معارضتك لسفري .. بقيت تصرّ على أنني سأكره سيدني . . وأنني لن أنجح .

– وكلما ازداد اعتراضي ؟ ازداد تصميمك على اثبات خطئي في كل مرة كنا ندخل فيها جدالاً بشأن سفرك ، كنت أعلم أنني أدفعك

www.riwaya.ga مكتبة رواية

للرحيل . لكنني كنت أحبك الى درجة لم أستطع معها منع نفسي من الاعتراض .

– لم أفكر في هذا قط يا برايان .

– لا . . . أعرف هذا . . . كنت أعتقد أنني مازلت أملك فرصة .

وبقيت انتظر عودتك . قررت مئات المرات خلال السنوات الست الماضية أن أسافر لأرجعك ، لكنني امتنعت وحاولت نسيانك

إلا أمر يومًا بمحل يبيع الصحف دون أن تقع عيني على مجلة فأرى وجهك يحدق فيَّ .

– لكنني . . عدت .

أحست بأنها ترى برايان للمرة الأولى رجلاً له مشاعر عميقة مخلصة قوية لا تتزعزع . . وكأنها صخرة وسط صحراء مترامية الاطراف .

. . أجابها :

– أجل . . لقد عدت . . حين رأيتك تخطين خارج الطائرة ، لم أعرف إذا كان حلماً ما أرى

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أم يقظة . كان الانتظار قد طال بي حتى ظننت أن عقلي انهار .

– لكن حين قبلتك كدت تكسر ضلوعي وأنت تبعدني عنك .

ضحك بمرارة :

– أبعدك عني ، كانت هذه محاولة مني لئلا أسحقك بين ذراعي ، ولا أتركك أبداً ! لكن حين قدمت لي محبوبك خطيباً لك شعرت أنني على حافة ارتكاب جريمة قتل . .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

شد بقبضته على كتفيها :

– أنت لن تتزوجيه يا شارلوت !

آمنت تحت سحر لمسته ، بأنه على حق .
لكن عديداً من الامور التي كانت تؤمن بها
أصبحت خطأ كبيرًا . وربما تكون هذه النار
المجنونة المحرقة التي أضرمها في جسدها من
النوع الذي يحرق نفسه بنفسه بحيث لا يترك
سوى الرماد البارد . . فهذا الاسبوع الأخير
شتت كل إيمان أو اعتقاد راسخ لديها :

– ما عدت موقنة بشيء .

– أحبك . . ثقي بي وبحبي . . فلست أطلب منك إلا أن تحبيني بعض الحب .

قاوفت اندفاعاً حتى لا تعترف اله بأنها تهتم به بعمق يشغل راحة بالها لكنها قالت :

– أريد بعض الوقت للتفكير .

– كم من الوقت ؟

– القليل منه .

أرادت أن تقرر وهي بعيدة عن تأثير ذراعيه ولمساته .

– لست أدرى كم أستطيع التحمل بعد . . . لقد ابتعدت العاصفة وأظن أننا ستتمكن من العودة الآن .

وافقت بصمت ، وهي تدرك أن خطر البقاء هنا أكبر من المخاطرة بالتوجه الى المزرعة .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

انحنى ليلتقط قبعتها التي قدمها إليها ، فاعتمرتها بعد أن جمعت شعرها تحتها . أما برايان فأطلق سراح الجوادين ووجههما الى الخارج ، ثم حين دنت لتمتطي جوادها أمسك اللجام وبعد أن اعتلت صهوته راحت تنتظره حتى يتخذ مكانه فوق سرجه .

كان المطر مايزال ينهمر بقوة وثبات ، لكن الريح توقفت ، ووميض البرق الساطع ابتعد الى مسافة نائية . . وأصبح الرعد زمجرة لطيفة . تحرك الجوادان على مضض إجابة لأوامر

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فارسيهما تحت المطر ، تخب حوافرهما فوق الارض المبتلة .

9- وفاضت الدموع

كان باب الأسطبل مفتوحًا ، فأحنت شارلوت رأسها لتلج إليه من المطر . . تأخر برايان عنها قليلاً ليقفل بوابة السياج الخارجى ، ومع

ذلك لم يكن بعيداً عنها إلا خطوات . . كان الماء ينهمر من أطراف قبعتها وهي تترجل ، وكانت أصابع قدميها غارقة في الماء الذي ينضح به حذاؤها المرتفع الساقين .

قاد برايان حواده متقدمًا نحو جوادها :

– سأعتني بهما ، اسرعي الى المنزل لارتداء ثياب جافة .

– برايان .

ثمة ما يجب أن تسأله عنه أو تقوله له . لكن ما هو ؟ . . لم تعد تدرى . والتفت إليها ، فإذا شيء مكتوب على وجهها ، يقطع الخيط الرفيع الذي يمسك بسيطرته على أعصابه ، فاحتواها بين ذراعيه . . نعم هذا هو ما كانت تريده ، لأنها أسرعت الى عقد ذراعيها خلف ظهره لتضع رأسها على صدره .

أدقات حرارة جسده جسدها الذي برَّده المطر . . . وملأ عليها عناقه العميق القوي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قلبها ونفخه الى حافة الانفجار . اعتقادها بأنها لن تحس بهذا الفرح المجنون ثانية ، جعلها تتعلق به يائسة . . . إذا كان هذا هو الحب . . . فلا تريد أبدًا أن تفقده .

– إذن . . . هذا ما كان يجري أثناء غيابي !

قطع صوت حاد كحد السيف عناقهما . . . نظرت شارلوت دون أن تصدق الى الواقف داخل الباب . كان منفرج الساقين مشدود اليدين التين أسدلهما على جنبيه . .: وخفقت

www.riwaya.ga مكتبة رواية

نبضات قلبها كالطبول ، ترسل رسائل مجنونة

.

– دونالد ؟

كانت الصدمة بادية في صوتها . اتجهت نظرتها الى برايان الذي التفت عند سماع تحدى دونالد . . وقف على بعد خطوة منها ، يخفيها تقريبًا عنه . قميصه المبتل الملتصق بجسده ، يكشف عضلات بارزة مشدودة ، جاهزة للقفز .

قال دونالد بحدة باردة ساخرة :

– إذا كنت مازلت تذكرين اسمي ، فربما تذكرين أيضا أنني خطيبك !

– ماذا تفعل هنا ؟

– الامر واضح . . جئت لأقضي نهاية الاسبوع معك .

لكن عينيه لم تستقرا عليها بل على برايان ، مدركًا تماماً أين يقف خصمه وما يمثله من مخاطر .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– ولماذا لم تخبرني بقدومك ؟

– أردتها مفاجأة لك . . . ويا لها من مفاجأة ! وصلت قبل العاصفة مباشرة ، لأكتشف أنك خرجت في نزهة . . أو على الأقل هذا ما قاله أبوك . لأنه لم يقل إنك خرجت معه .

– لم يكن يعلم .

فقاطعهما برايان بصوت يخلو من أي انفعال ، وهذا ما جعل دم شارلوت يتجمد بردًا .

– خرجت لأتفقد الماشية . وقررت شارلورت في اللحظة الأخيرة مرافقتي .

– وطوال الوقت الذي كنت أذرع فيه أرض المنزل قلقًا عليك من العاصفة . . كنت معه !

بدأ دونالد يرتجف من الغيرة بشكل ظاهر ، وقالت له تفكر في حالته الحاضرة :

– كنا سنعود أبكر من هذا . لكن حين فاجأتنا العاصفة اضطررنا للاختباء .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أحست أنها تضيع وقتها ، لكنها أرادت أن تفعل شيئًا يمنع هذا الموقف من التفجر الى ما هو أعظم وأسوأ . ورد عليها :

– لابد أن هذا كان في مكان حميم !

فصاحت به وهي تعلم أن كلامه ليس ببعيد عن الحقيقة :

– لم يدث شيء بيننا .

اتجهت عيناه بسرعة لتشمل برايان وقال بصوت ساخر غاضب :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– كنت أشك فيك منذ البداية إلسوب .

– أليست مصادفة غريبة ؟ أراهن أنني بادلتك المشاعر نفسها .

في رده البارد ، نوع من الخطر المتهورر ، بغض النظر عن التظاهر بالادب . بلغ قلبها حنجرتها . لقد نحياها عن الحوار واستعدا الآن للتحدي المفتوح الصريح بينهما . . تصارعت عيونهما ، يحاول كل منهما جعل الآخر يخفض نظره . وأخيرًا قال دونالد بازدراء ظاهر :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– لطالما شككت في أن اسطورة الريف زائفة

. . راعي البقر الصادق الشريف ،العامل

الكادح واحترامه الشديد لأملاك غيره . . .

أنك لست سوى لص . . تحاول سلب ما

ليس لك .

قال برايان ببرود شديد :

– لست أنا اللص . . فشارلوت كانت تحمل

علامتي قبل أن تلتقي بك بوقت طويل .

فضحك دونالد :

– أراهن أنك تصدق هذا ، واعتقد أنك فكرت في هذا مليًا إلسوب ؟ إذا تزوجت ابنة صاحب المزرعة فستضع يدك على الاملاك . وعتدها لن تعود اليد المأجورة .

حُبست أنفاس شارلوت . . فهذة الملاحظة اهانة مباشرة . . . صفعة لكرامة برايان . . لكن هدوءاً مميتًا غلفه فذكرها هدؤه بالأسد المتوثب للانقضاض على فريسته . وتلاشى أمامها كل أمل بالقيام بما يوقف هذا كله .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

حين تكلم برايان ، كان هادئًا وكأنه وجد رضاه في هذا الموقف :

– أرجو مخلصاً أن تكون على استعداد لدعم كلامك هذا . . لأنني سأجبرك على ابتلاع ما قلت .

تردد دونالد لحظة قبل أن يقول ، وهو يخلع سترته :

– أنت محق تمامًا فأنا على استعداد لدعم كلامي .

وتقدم نحو برايان . فأمسكت شارلوت بذراع برايان :

– لا ! . . توقفا عن هذا !

أبعدها عنه وعيناه ثابتتان على دونالد :

– ابتعدي عن الطريق شارلوت . . سيكون هذا من دواعي سروري .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تراجعت شارلوت حتى التصقت بعمود الاسطبل الخشبي . وضغطت راحة يدها على سطح الجدار غير ابهة بالالم الذي تسببه خشولنة الخشب لها ، فك دونالد ربطة عنقه ورماها أرضًا ثم فك زر يافقته وزرين آخرين :

– منذ أن وقعت عيني عليك عرفت أنك شيطان رجيم . . وقد تمنيت يومها لو أمسك بعنقك بقبضتي هذه ، وهذه المرة سأفعل ، بامكانك الاعتماد على هذا .

لم يتفوه برايان بكلمة ، بل انتظر ببرود ، متنفرج الساقين ، اقتراب دونالد منه ، وفي اللحظة الأخيرة اخفض رأسة أمام لكمة دونالد التي وقفت في الهواء ثم أطلق قبضته الى معدته . تأوه دونالد رافعًا ذراعه ليتحاشى الضربة التالية التي وقعت على فكه .

كانت شارلوت تعلم يقينًا أن دونالد ليس ندًا لبرايان الذي هو أقوى وأضخم وأصلب . إن كل ما يجري غباء وجنون ، لكن يبدو أنها وحدها من يلاحظ هذا .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أحست بالالم حين تحامل دونالد على ألمه
وعاد ليتلقى المزيد من لكمات برايان . لكن
لكمة قرية منه أرجعت رأس برايان الى الخلف
فاقد التوازن ، وشاهدت خيطًا من الدم ينزف
من زاوية فمه . . صحيح أن دونالد أهرق
أولى قطرات الدم ، لكن ذلك لن يدوم طويلاً
.

بعد تبادل عدة لكمات ، انطرح دونالد أرضًا
وقد اعتلى وجهه جرحاً وانساب الدم رفيعاً
من أنفه . أرادت أن تصيح به أن يتوقف قبل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أن يصاب بالاذى ، لكنها تعرف أنه لن يصغي إليها .

وثب الى برايان وهر لا يكاد يحمل نفسه . لكن برايان ابتعد ثم لكمه لكمة أخرى وبدأت أنفاس الرجلين تثقل وتنهدج وارتفع التأوه مع كل حركة . . جعل العراك الجياد تصهل بقلق داخل الاسطبل ، فازدادت الضوضاء .

رمت لكمة برايان دونالد أرضاً عند الجدار المقابل لكنه أثناء عودته للوقوف ثانية أمسك

مذراة معلقة فوق الجدار ، فاتسعت عيناها ذعرًا وصاحت محذرة :

– برايان . . . انتبه !

رفع برايان ذراعه ليتلقى الضربة ثم لف يده ليمسك بالمذراة ، وبذل دونالد جهده للاحتفاظ بسلاحه فى حين برايان راح يوجه له من يده الأخرى لكمات حادة حتى ارتمى دونالد أرضًا ، تاركًا المذراة تقع أيضاً .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

رمى برايان المذراة بعيداً ثم انحنى ليمسك بخناق دونالد ، فرفعه الى قدميه ، والنوايا الوحشية مكتوبة على وجهه ، وهذا ما انهى صمت شارلوت . رمت نفسها بغضب ووجل على الذراع التي رفعها برايان ليطلقها على وجه دونالد :

–لا ! . . لا! ستقتله . . . ! توقف !

ضربته وهي لا تدرك أن لكماتها لن تؤثر فيه . وصاح :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– توقف عن هذا أيها الظالم المتوحش ! ألا ترى أنك اذيته ؟ دعه وشأنه !

فتنفس برايان عميقًا وتركه :

– لقد انتهيت منه !

تطوح دونالد كالسكير وكاد يقع ، لولا دعم شارلوت التي أسرعت تساعده . فحاول دفعها عنه لكنها مدت يدها بلطف لتدير وجهه إليها وتتفحصه ، فرأت أن عينيه تشيران الى أنه على مقربة من الاغماء .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

همست له والالم فى صوتها :

– انتهى الامر دونالد .

كان وجهه الوسيم المصقول ، مغطى بالدم والكدمات ، حتى لم يبق فيه أثر للثقة المغرورة بالنفس :

– أنت مصاب . . لا يمكنك القتال بعد .

توقف عن المقاومة وأسند ثقلة عليها . . إنه مهزوم مضروب . وجهت عيناها اللامعتان الى

www.riwaya.ga مكتبة رواية

برايان وقالت متحدية ، تكاد تختنق من البكاء :

- ماذا جنيت من هذا ؟

كان ظهر يده مضغوطًا على فمه ، حين أبعدها كانت مليئة بالدماء ، لكنه مع ذلك لم يتلق ما تلقاه دونالد . فأجابها وهو يلتقط قبعته :

- إنه يعرق وينزف مثل الجميع .

– أنت لست سوى متوحش مستأسد ! تعلم أنك قادر على هزيمته ، وتعلم أنك أقوى وأسرع منه . لكنك تركته يثيرك حتى يقاتلك . . . إنه ليس ندًا لك أنت من تحداه !

– ما كان مضطراً لقبول التحدي .

– لكنك تعرف أنه سيقبله .

– بدل الاسف على اندلاق الحليب ، اهتمي بمحبوبك .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تردد لحظة واضعًا يديه على خصره ثم أضاف
:
– سأساعدك في حمله الى المنزل .
– لا ! لست بحاجة الى مساعدتك التي لن يشكرك عليها . لقد أنزلت به ما يكفي من ضرر دون أن تضيف إليه الاذلال بجره الى المنزل حتى يراه والدي .
– شارلوت أنا . . .

كان يريد أن يقول شيئًا لكنه عاد فأطبق فمه . فاندفعت الدموع عندها وصاحت به يائسة :

– لست أفهمك . . . لست أفهم أيا منكما ! كانت معركة غبية مجنونة ، بم تشعران الآن ، بعد أن تصارعتما وتقاتلتما .

– شعرت بالاكتفاء . . . أترين شارلوت . . لم يكن أمامنا ما نخسره . . كان أحدنا سيخسرك حتى دون قتال . . . ولا أرى سببًا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لتكدرك . . فالنساء يتباهين عندما يتقاتل الرجال من أجلهن .

- إنه لمقرف رؤية انسان ما وهو يُضرب .

تهاوى دونالد ، فشدت ذراعيها حوله ليستقيم ، فتمتم بصوت متلاشى :

- ساقاى لا تقويان على حملى .

ذاب قلبها أسى وهى ترى منظر وجهه الدامى المليء بالكدمات والجروح :

- اصمت يا حبيبي . . سأساعدك !

www.riwaya.ga مكتبة رواية

شد برايان قبعته فوق جبينه دليل ارهاقه وارتد على عقبيه مبتعدًا :

– رافقيه الى المنزل قبل أن ينزف دماءه عليك .

حوَّلت اهتمامها الى الرجل المترنح المستند اليها ، ورمت ذراعه فوق عنقها وتوجهت به نحو الباب :

– فلنذهب الى المنزل لأداوي لك هذه الجروح والكدمات .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

حين وصلت به الى المنزل أدارت المقبض ودفعت الباب بقدمها ، كانت تحاول لتدخلة حين ظهر والدها في الردهة . فغر فاه وقطب جبينه وهو يرى ما يرى أمامه :

– ساعدني أبي حتى أدخله .

سارع ليحمله الى الداخل . . وما إن ألقى نظرة واحدة الى وجهه حتى صاح :

– جينيفر ! ما الذي حصل يا ابنتي ؟ وكأنه كان يضرب رأسه بالجدار .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– لا . . إنه برايان .

– وما الفرق . إنه الشيء نفسه . فلندخله الى المطبخ .

– بالله تشارلي . . لماذا هذا الفزع كله ؟

تقدمت الام ضاحكة تتساءل وهي تمسح يديها بالميدعة لكنها لم تطلب الرد حين شاهدت وجه دونالد ، وبما أنها كانت ممرضة قبل الزواج ، فقد سارعت بكفاءة للتحرك .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– سأحضر ماء ساخنًا وعلبة الاسعافات . .

ادخلاه الى المطبخ .

حين أجلساه على الكرسي أعطت جينيفر

تشارلي زجاجة :

– خذ . . فليشمَّ شمة قوية من هذا الامونياك

الذي سيرد إليه وعيه .

حين شهق دونالد وسعل سحبت منه الزجاجة

:

– يكفي .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أبعدت شارلوت عنه ، ثم راحت تنظف الدم عن وجهه وتتفحص حدة الجروح ، ثم شرعت تسأله أسئلة طبية عن صحة نظره وسمعة وعن دواره أو إحساسه بالتقيؤ . ووقفت شارلوت قربها ترتجف في ثيابها المبللة ، لكن والدها سرعان ما دس فنجان قهوة فى يدها قائلاً :

– إنه على ما يرام . . اذهبي وغيري ملابسك قبل أن تصابي بنزلة صدرية . . أمك تعتني به .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

حين ارتقت الدرج تبعها والدها يسألها بشيء من الفضول والاهتمام :

– وكيف حال برايان ؟

ردت بصوت تملأه المرارة :

– وماذا تعتقد ؟ إنه لا يكاد يحمل علامة .

في غرفة نومها ، انهت احتساء قهوتها . ثم أعدت المغطس في حمامها . بعد الاستحمام جففت شعرها ، وارتدت كنزة خضراء

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وسروالاً عاجي اللون . وبعد نصف ساعة من مغادرتها المطبخ عادت الى الردهة .

كان دونالد يجلس فى غرفة الجلوس وقد غطى شريط لاصق رفيع الجرح فوق عينه ، وغطى آخر جزءًا من ذقنه ، أما الكدمة الكبيرة فبقيت ظاهرة للعيان . . وكان يمسك بكيس مليء بالثلج يضعة على الكدمة وعلى شفتيه المتورمتين . ترددت عند الباب ، ثم دخلت .

– كيف تشعر الآن ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– كما يشعر رجل هُزم في القتال . . . أشعر بأنني كالحمار .

– ما كان يجب أن تقاتل . . . وما كان على برايان الذي يعرف أنه سينتصر أن يقبل به .

– انظري الى هذا . . .

ورفع رأسه ليفتح شفته ويظهر أسنانه :

– لقد كسر قطعه من سنى .

ظهرت فجوة بين صف أسنان جميلة بيضاء مساوية .

– آسفة دونالد .

– أنا سعيد لأنني أعرف طبيب أسنان ماهر . لكنني آسف لأننى اخترت القتال معه .

– وأنا كذلك .

أمسك بيدها لينظر إليها والدفء في عينيه . كانت الابتسامة تؤلم شفتيه المتورمتين . وقال :

– على الاقل ، عزائي أن نصره فارغ . فأنت هنا معى !

www.riwaya.ga مكتبة رواية

شدها لتجلس على ذراع مقعده . ثم راح يلقي اللوم كله على عاتق برايان قائلاً :

– شككت منذ رأيته في أنه غير أهل للثقة ، وكنت اشعر أنه سيختلق لنا المشاكل . . لكن هذا لم يفده بشيء .

حاولت أن تفهمه الامور لكنه قاطعها :

لست مضطرة للقلق بشأنه ، ستقلنا الطائرة في التاسعة صباح الغد . وقد حجزت مقعدًا على الطائرة المسافرة ال سيدني . . . سأكلم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

والديك اللذين سيفهمات ان من الاجدى
لك في مثل هذه الظروف أن تقطعي اجازتك
.

كان يتحدث وكأن من المسلم به قبولها بالرحيل . وبما أنها لم تكن واثقة ، لم ترد عليه . . أمامها وقت حتى تتخذ القرار وهو من الآن حتى صباح الغد .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أيمكن أن تذهبي الى المطبخ حبيبتي حتى تري ما إذا كان بإمكانك تحضير شيء لي أشربه ، والافضل أن يكون بواسطة «قشة» .

– طبعًا .

وقفت لتسحب يدها من قبضته بلطف .

عندما كانت تتجه الى المطبخ أدركت أن لمسته لم تؤثر فيها آقل تأثير. كانت أمها قرب المغسلة ، وقالت لها :

– قال لنا دونالد إنك راحلة في الغد .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أجل . . أعرف . . يود شيئًا يشربه ،

أتأخذين الشراب له الى غرفة الجلوس ؟

وتقدمت الى الباب الخلفي حيث علق وراء الباب الخلفى معطف أصفر واق من المطر :

– الى أين يا شارلوت ؟

– أريد رؤية برايان .

– وهل هذا أمر حكيم عزيزتي ؟

– آمل هذا .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وانسلت تحت المطر ، تضع القبعة الواقية فوق رأسها ، متجهة الى حيث يسكن برايان .

طرقت الباب مرتين بقوة :

– ادخل .

كان بيته بسيطًا متقشفاً . مطبخه ضيق ، فيه خزائن ثابتة ومغسلة وبراد وطاولة خشبية صغيرة وكرسيان . أما الغرفة فليس فيها إلا طاولة للكتابة وعدة خرائن للملفات وسرير قربه مصباح . وقرب الغرفة ردهة تقضي الى

www.riwaya.ga مكتبة رواية

باب مغلق ، لكن كان في آخر الردهة بابًا مفتوحًا ، ينبعث منه النور ويتعالى صوت جريان ماء ، دنت منه وهي تبعد غطاء الرأس الواقي عن رأسها .

كان الجزء الأعلى منه عاريًا وهو يقف أمام مغسلة الحمام . لم يستدر حين ظهرت بالباب ، بل نظر في المرآة . ودون أن يتفوه بكلمة أنهى اغتساله ثم غمس قطعة قماش في الماء ووضعها على جرح عند طرف فمه . . فبانت على ظهر يده اليسرى كدمة متورمة .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وسألها بخشونة :

– أمازال حيًا ؟

– لا . . والشكر لك لقد كسرت سنًا من أسنانه .

– حقًا . . ؟

لكن ليس هذا الحديث الذي تريد أن تبادله إياه فتنفست لتهدىء روعها :

– إنه آسف لقتاله معك .

– لابد إنه آسف .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فى رده الكثير من الرضى ، فاشتعل غضبها .

– بامكانك الاعتذار كذلك ، فعليك يقع اللوم أكثر مما عليه .

– أنا لم أتقدم يومًا من أي انسان وقبعتي في يدي لأعتذر ، ولن يكون هذا الآن .

مد يده الى قميص نظيف معلق على الباب ، فتناوله ثم راح يدس ذراعا برونزية في كمه ويرميه خلف ظهره ليدس الآخر .

– إنه مسافر غدًا ويريد أن يصطحبنى .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– من الطبيعي أن يرغب في اصطحابك .
فسيعتبرك خطيبة ما دمت تحملين خاتمه في يدك .

تصاعد احباطها وهي تسمع رده هذا ،
فقالت بلهجة يائسة :

– ألا تهتم بأنني مسافرة معه ؟

– تعرفين موقفي . . والقرار يعود لك . فإما أن تبقي وإما ترحلى .

وكأنهما يبحثان موضوعاً تافهًا ، لا مستقبلهما . آلمها قلة اكتراثه . . تريد أن يقول لها ما يجعلها تعرف أين تضع قدميها . تريد أن يقول لها إنه يحبها ويريد منها أن تبقى . . تريد أن يقنعها ، أن يمحو كل أثر للمقاومة فى نفسها بعناق ساحق .

– وماذا لو قلت لك إنى راحلة ؟

– وهل أنت راحلة ؟

ردت ساخطة يائسة :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أجل .

– إذن . . ليس هناك ما يقال . . صحيح ؟

أمسك بها ليبعدها عن الباب حتى يخرج من الحمام . . . صدمها قبوله قرارها ، راقبته يتقدم الى طاولته ، حيث جلس على كرسيه الدوار وفتح دفتر الحسابات ، وبدأ ينقل الارقام من كومة أوراق أمامه .

أحست بالضياع والهجر ، فوضعت غطاء المعطف الواقي فوق رأسها ، وأطبقت يدها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

على المقبض المعدني للباب . . فقال لها وكأنه يودعها الى الأبد :

– وداعا شارلوت .

فكادت تبكي :

– وداعًا .

صرخت صرخة مكتومة وكأنها حيوان جريح ثم ولت هاربة تحت المطر المنهمر .

في الصباح التالي ، وقفت شارلوت أمام نافذة غرفة نومها المطلة على مدخل المنزل الأمامي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

. . . كانت قد وضبَّت ثيابها في الحقائب ووضعتها قرب الباب حتي تُحمَّل إلى الردهة . الساعة الآن الثامنة والنصف والطائرة ستكون هنا في التاسعة . . سمعت دونالد ينزل الى الاسفل منذ ربع ساعة . . لكنها بقيت تنتظر ، واضعة ابهامها في فمها تمتصه .

حين سمعت صوت محرك سيارة يقترب أبعدت اصبعها عن فمها ، وتهللت أساريرها أملاً . . توقفت الشاحنة الصغيرة في الممر الموصل الى الباب الأمامي ، ونزل السائق . فغاص قلبها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

حتى قدميها . . كان توبي مكنزي يقود السيارة وهو من سوصلهما الى المدرج ، لا برايان . . ها آخر أمل لها يتلاشى .

سارت بساقين مثقلتين نحو باب غرفتها ، التقطت أخف حقيبتين ، وحملتهما . . كان توبي يقف مع والدها , فصمتت أصواتهما حين وصلت . وتقدم توبي ليريحها من حملها :

– دعيني أحملها عنك شارلوت .

– سأحمل هذه . . ثمة اثنتان أخريان أثقل منهما في غرفتي . سأدعك تحملهما .

حاولت أن تظهر نفسها مرحة غير مكترثة ، لكن المحاولة كانت اصطناعية .

– سأكون مسروراً بحملهما .

– إنهما قرب الباب . . . أين دونالد ؟

فرد أبوها :

– يوصل حقيبتيه الى الشاحنة ، دعيني أحمل هذه عنك .

– لا . . لا يفترض بك حمل أشياء ثقيلة .

– لا تدلليني . فقلبي ليس على درجة من السوء بحيث أعجز عن حمل بضع أصابع من أحمر الشفاه .

أخذ الحقيبة الصغيرة منها وفتح الباب . كان دونالد يقف قرب الشاحنة مع أمها فتوقفت عند السلالم ، وسألت أبيها :

– أين برايان . . . ظننته سيحضر لوداعنا .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– ذهب الى مزاد لبيع الدواجن هذا الصباح

. . ألم تودعيه يوم أمس ؟

– بلى . . بلي . . ودَّعته .

وصلت الطائرة قبل ربع ساعة من موعدها ، فراحت تدور فوق المزرعة قبل أن تحط .

استسلمت شارلوت لعناق أمها حزينة تبلل دموعها وجهها ثم انتقلت الى أبيها الذي تمنى لها الوصول سالمة .

أما وداع دونالد فكان فيه تحفظ . . بدا دونالد ذاك الصباح أسوأ حالاً فكدماته كانت حمراء قرمزية وصفراء . . وشفته السفلى بحجم فمه كله . . أما سنه المكسور فزاد من قباحة مظهره .

الرحلة الى المدرج كانت تبدو دائمًا طويلة ، لكنها اليوم بدت قصيرة بشكل غير معقول . فقد نقلت الحقائب بسرعة الى الطائرة ، التي سرعان ما هدرت محركاتها استعدادا للاقلاع .

. . بقيت شارلوت رغم جلوسها على متنها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ترجو المستحيل , وهو رؤية برايان قادمًا . في نهاية الممر ، انطلقت الطائرة فوق العشب ثم

اقلعت . . وما هي إلا بضع دقائق حتى شاهدت والديها يقفان قرب البيت يلوحان مودعين .

قال لها دونالد :

– أعلم أنك ستشتاقين إليهما . . لكنهما سيأتيان الى سيدني بعد أقل من شهر لمساعدتك في الاستعداد للزفاف . سنتزوج

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قريبًا حبيبتى . . وفى المرة القادمة التي سنأتي بها الى هنا ، ستكونين زوجتي ، ولن يزعجك عندها برايان إلسوب أبداً .

– اصمت يا دونالد .

وأشاحت وجهها عنه بحدة ثم نظرت الى الخارج . . تاركة أولى قطرات الدموع تتساقط على وجنتيها .

10– طائر الشوق

كان صوت الموسيقى يصدح عالياً . وكيف لا ترفع وأصوات الناس الذين يملأون الشقة ضاحكين متحدثين ترتفع في الوقت نفسه .المائدة في الزاوية صُفَّت عليها المآكل والحلوى . . والقصاصات الملونة تتدلى من السقف ، باهتة الألوان من شدة دخان

السكائر . . ولائحة ضخمة معلقة فوق الجدار قد كُتِب عليها :

سنفتقدك يا ليزا .

شقت شارلوت طريقها عبر الجموع وصولاً الى المائدة حتى تضيف طبقين آخرين من السندويشات الصغيرة الى الأطعمة الرائعة .

وبينما هي تعود أدراجها ، أمسك أحدهم بيدها :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– هاي ! اذا حصل لذلك الحجر اللماع الذي كنت ترتدينه حتى تبهرى أبصارنا به ؟

كانت الضحكة صادرة عن دان شولز المصور الفوتوغرافي الذي عملت معه شارلوت أكثر من مرة . فهزت كتفيها دون اكتراث ، تحاول سحب يدها من بين أصابعه .

– لقد رددته الى صاحبه .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لم تشأ أن تتذكر الصعوبة التي طالعتها حتى اقتنع دونالد بأنها لا تريد الزواج منه ، لكن دان رفض ترك يدها :

– هيا أيها الجمع ! ربما فقدنا ليزا التي خطف بصرها بريق عمل جديد ، لكن زميلتها الجميلة ، شارلوت غراي ، عادت حرة طليقة من جديد . . . لقد تخلصت من حبيبها المستبد .

انتفضت شارلوت وهي تسمع قوله ، فاحمر وجهها ، لأنها ليست طليقة وحرة كما يدعي . . لكنها تعي تماماً الهفوة الرهيبة التي ارتكبتها بترك المزرعة بدل البقاء مع برايان . إن عنادها وكبرياءها حالا بينها وبين ما ترغب كانت تريد العودة ، لكنها كانت تحتاج الى المزيد من الشجاعة والى القليل من التنازل عن كبريائها .

– كفى دان .

وسحبت يدها منه وسط صيحات الابتهاج التي اتبعت تصريحه وأردفت بمرح :

– أنت تعترض عمل المضيفة وهي تؤدي واجبها .

رن جرس الباب وهي في المطبخ تفتح باب البراد . وعلمت أنها وحدها سمعت الرنين ، فأخرجت صينية . البسكوت المدهونة بالكافيار ووضعتها فوق الطاولة ، ثم عادت

تحملها الى غرفة الجلوس حالما دخلت سألتها زميلة سابقة لها تحولت الى ممثلة :

- أليس معك كوب شراب ؟ سأحضر واحدًا لك .

- لا تزعجي نفسك ، عذرًا .

واتجهت نحو الباب فسارعت الممثلة للقول :

- الى أين ؟ نحن لم نتبادل القيل والقال منذ أجيال .

أشارت بيدها نحو باب الشقة :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– ربما فيما بعد ، قرع جرس الباب ، أعتقد أنه ضيف وصل متأخرًا .

– قرع الجرس ؟ كيف سمعت الرنين فى معمعمة هذا الضجيج كله ؟

ابتسمت شارلوت وحشت الخطى . . كان الرنين قد عاد مجددًا فهيأت نفسها ووضعت على وجهها ابتسامة ترحيب ثم فتحت الباب .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بلغ قلبها حنجرتها ، ووقف هناك مانعاً عنها القدرة على الكلام . . كان برايان يقف في الخارج . . أو على الاقل ، شخص يشبه برايان . . . إلا إذا كانت تهذي . كتفاه العريضتان تسترهما بذلة أنيقة زرقاء قاتمة ، عليها ربطة عنق رمادية وذهبية متناسقة مع قميصه الرمادى .

لم تكن ملابس مزارع أو راعي بقر ، قادم من الريف . لكن القسمات التي قست تحت أشعة الشمس مازالت هى هى . الشعر

الأسود المتموج الذي يدفع بعض الرجال ثروة للحصول على مثله ، يبدو طبيعيًا فوق رأس برايان . ووميض عينيه السوداوين الجريئتين ، لا يمكن أن يكون لشخص آخر غيره لكن ، لماذا تغير هكذا ؟

– مرحبًا شارلوت .

نبرة الصوت المثيرة تدفقت نحوها بحرارة . مد بصره الى الاحتفال الصاخب :

– لديك حفلة .

– أجل إنها حفلة أُقيمت لوداع زميلتي التي تشاطرني الشقة . ستنتقل الى مركز عمل جديد .

قال بشيء من السخرية :

– هل لي أن أدخل ؟

اشتعلت وجنتاها خجلاً وإحساساً بالذنب . أرادت أن ترمي بنفسها بين ذراعيه وتتخلى عن الحفلة ، لكن اللحظة المواتية لهذا مرت ،

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فتحت الباب متنحية الى الجانب تعتذر بضحكة قلقة :

– طبعًا . . . . أرجوك أن تدخل برايان . . أرجوك سامحني على قلة ذوقي . حين فتحت الباب لم أتوقع رؤيتك .

– أردت مفاجأتك .

– ونجحت . . . وكانت أفضل مفاجأة مرت بي يومًا .

تذكرت ما قاله لها عندما كانا يطلبان حماية الحرف الصخرى يومذاك ذكر أنه نوى المجيء مرة ليعيدها الى المزرعة ولا ريب أن هذا هو سبب مجيئه اليوم . . لا ريب في هذا ! وقفز قلبها سعادة وبهجة بدت واضحة في لمعان عينيها الشاخصتين إليه .

تقدم برايان حتى ما عاد يفصل بينهما إلا خطوة واحدة ، ووضع يديه بخفة على خصرها النحيل . . كانا يقفان وسط الحفل لكن شارلوت كانت صماء عمياء عما حولها .

– ذكر والدك أنك فسخت خطوبتك .

– أجل . . فسختها .

– لماذا ؟

– لم أكن أحبه .

قطعت عليهما ضيفة وقفتهما الحميمة ، وقالت مازحة :

– سنترك لك شارلوت اختيار أجمل رجل في الحفلة .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

والتفتت الى برايان وشفتاها الحمراوان

تبتسمان .

- أنا كاترين سلاوث .

- تشرفت بلقائك انسة سلاوث .

ولف ذراعه حول خصر شارلوت ليشدها إليه

. فقالت المرأة باصرار :

- ألن تقدميه لى شارلوت ؟

- إنه براابان إلسوب . . مدير مزرعة والدى

واستثماراته الآخرى .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كررت الشقراء اسمه ، تمرره في فمها وكأنها تتذوقه .

- برايان . . . اسم كله رجولة .

فابتسم برايان :

أرجو أن تعذرينا آنسة . . لدينا أعمال عائلية نود مناقشتها .

بدا الحسد على المرأة وهي تبتعد :

- يا لك من محظوظة يا شارلوت .

قال برايان بعد انسحاب المرأة :

– أليس هناك مكان نستطيع التحدث فيه دون أن نُقاطع ؟ كنت سأقترح عليك حلبة الرقص . . لكنني أريد الرقص الناعم ، الذي لا يتجانس وهذه الموسيقى .

– معك حق . فلنجرب المطبخ .

– أرشديني إليه .

ما إن دخلا المطبخ حتى كتم اقفال الباب . الكثير من أصوات الحفلة الصاخبة . فسألها :

– ألست ختئفة من أن يشكوك أحد الجيران

بسبب ارتفاع الاصوات .

– دعوت معظم الجيران الذين هم الآن

يحدثون

الضجيج . . كيف مرتذمرون منه.

فضحك :

– عمل ذكي .

– أجل . . لم أرك من قبل ترتدي مثل هذه الملابس . تبدو الآن مختلفًا . . طبيعيًا لكن . . .

جالت بناظريها فإذا بها تشعر بصغر المكان وخلوه . . فاستعادت دور المضيفة :

– أتود شرب شيء ؟ البراد مليء بما لذ وطاتب تقريباً!

التفتت عيناه الى شفتيها وقال بصوت أجش :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– عطشان ، وكأنني كنت تحت شمس الصحراء .

استقبلت عناقة بآهة واستسلام ، فعقدت ذراعيها خلف عنقه . أما ذراعاه قسحقتا جسدها حتى أحست بأزرار قميصه تخز صدرها الناعم ، لكن الألم كان لذة لا توصف لها . وعطشه ماكان ليرتوى .

شارلوت ما عادت تهتم كم سيعب من نبع الحب ، لأنه نبع لا يغيض أبدًا .

– شارلوت .

انفتح باب المطبخ ودخلت شقراء اخرى ، شهقت بسرعة وهي ترى الجسدين الملتحمين ينفصلان .

– أووه . . . أنا آسفة !

احمرت شارلوت خجلاً واحراجًا ، فمسحت بيدها شعرها ثم عنقها :

– أتريدين شيئا بوبي ؟

- نفذ الثلج على طاولة الشراب . . فأرسلوني لأحضر بعضه . أخبريني أين أجده وعودا الى ما كنتما تفعلان .

وابتسمت الفتاة تنظر إليها بتفهم .

لكن الاحراج كان ثقيلاً على شارلوت حتى تتابع العناق كما أنها تحس بخجل غريب لأنها تصرفت على هذا النحو ، لكن وجودها سلب منها تعقلها ، لذا أبعدت نفسها عن ذراعيه .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وتقدمت الى البراد :

– أكياس الثلج في الثلاجة . سأساعدك ، كم تريدون ؟

– سآخد ثلاثة .

سحبت الأكياس من الثلاجة ثم قدمتها الى الضيفة قائلة :

هل ستتمكنين من حملها ؟

– بكل تأكيد . . . أرجو لكما السعادة . . .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

سألها برايان وهو يقف قرب الطاولة :

– ما هذا ؟

– كافيار .

تذوقه ثم رفع حاجبه وكأنه كان يتوقع شيئًا أفضل :

– أهذا هو طعم الكافيار ؟ كان يجب أن تحذريني من ملوحة بيض السمك .

– في المرة القادمة . . الكافيار مطلوب ، مثله مثل الحلزون . وزميلتي ليزا ، المحتفى بها

تحب طعمه . . لكنني أفضل طعم الزبدة والبندق على البسكوت .

– سأتذكر هذا . . وأظن أني سأطالبك بتنفيذ وعدك بتقديم شراب لي .

– تفضل خذ ما تريد .

فتح باب البراد وسأل وهو يحمل زجاجة مياه معدنية:

– ما هذا ؟

– مياه معدنية .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– مستوردة ؟

– ومشهورة تفتح بلوي السدادة .

لوى السدادة ليفتحها :

– أهذا كل شيء ؟

– كل شيء .

وتذوقها .

– إنها . . مياه معدنية وكافيار .

- هذه هي الحياة في المدينة . . متى وصلت الى هنا ؟ ولماذا لم تخبرني بقدومك ؟

- أردت أن أفاجئك ، وصلت منذ ثلاثة أيام .

- لا تتوقع مني أن أصدق أنك كنت ضائعاً ثلاثة أيام فأنت لا تضيع أبدًا . . . أين كنت ؟ لماذا لم تأت لرؤيتي قبل اليوم ؟

- لا لم أضع . بل كنت أجوب المدينة ، زرت كل الأماكن التي ذكرتها في رسائلك . الميناء ،

شارع المصارف حديقة سيدني ، والأنهار ومركز المعرض الدولي . ومتحف الجامفعة . . . كما تناولت الطعام في أفخم المطاعم .

– و ؟

– واستتنتجت أن المدينة مكان عظيم للزيارة .

– لكنك لن تعيش فيها . . . لا . . لا أظنك ترغب .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أنا بحاجة الى الفضاء حولي . . أريد مكانًا رحبًا اتنشق فيه الهواء . . اريد التراب تحت حذائي ، ترابًا أحمر تراب المراعي لا الاسمنت . . أنا لا أنتمي الى المدينة شارلوت . . الامر بسيط جدًا . .

– أعرف ما تعني .

إنه الاكتشاف نفسه الذى توصلت إليه بعد عودتها الى سيدني. . فهذا ليس المكان الذي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ترغب في العيش فيه ما تبقى من أيام عمرها ، ليس فقط لأن برايان ليس فيه .

حاولت قول هذا له . . لكن باب المطبخ انفتح ودخل رجل وفتاة ، الرجل قصير أشقر والفتاة طويلة جذابة :

– هاي . . هذا أنت هنا . . . كنا نبحث عنك في كل المكان . . تعالي !

حرك الالحاح في لهجتها شارلوت :

– ما الخطب ؟ أحدث شيء ؟

– لا شيء . . ليزا تستعد لفتح الهدايا وترفض المباشرة إذا لم تكوني موجودة . . فتعالي إذن .

نظرت شارلوت عاجزة الى برايان :

– أنا صاحبة الدعوة ، سأعود إليك . . . أم تفضل مرافقتي ؟

– لا . . . اذهبي . . . فالى هناك تنتمين .

سمحت شارلوت على مضض للفتاة بأن تجرها الى غرفة الجلوس . واندفعت الى الوسط

لتراقب زميلتها تفتح الهدايا ، التي كان بعضها خياليًا ، وبعضها عمليًا . مرت ساعة قبل أن تستطيع شارلوت التسلل الى المطبخ ثانية . . لكنها توقفت مذهولة هناك لأنها لم تجده ، ربما انضم برايان إلى المتحفلين ، فعادت الى غرفة الجلوس تبحث بين الناس عنه .

طغت موجة من الحزن عليها ، ووضعت يدها على فمها لتمنع شهقة ذعر قد تفزع سعادة المحتفلين .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تقدمت منها الفتاة التي كانت في المطبخ لأخذ الثلج :

– هاي . . شارلوت . . مابك ؟ ألست على ما يرام ؟

– إنه برايان . . الرجل الذي كان معي في المطبخ . . . هل رأيته ؟

– لا . .

– لا أصدق أنه خرج دون أن يعلمني .

– متى رأيته آخر مرة ؟

– في المطبخ حين خرجت لتباشر ليزا بفتح هداياها . عدت بعد ذلك ولم أجده .

– أقال إنه سينتظرك ؟ أَمَّا قال لك أي شيء ؟

– لا . . . كل ما قاله أن أذهب وانضم للمحتفلين . . . ثم قال إنني أنتمى إليهم .

فابتسمت الفتاة :

– وما معنى هذا ؟ إنك لا تنتمين إليه ؟ هذا قول غريب .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بدأت شارلوت ترتجف .

– لم يقصد ذلك . . . بل . . أيمكن أن هذا قصده ؟ قبل لحظات كنا نتحدث عن المدينة ، وقال إنه لا ينتمي إليها . . . ثم رحل . رحل ليعود الى موطنه . . . الى المزرعة .

– أنا آسفة شارلوت .

ووضعت يدها على كتفهيا ، لكن شارلوت تحركت بسرعة وقد توصلت الى قرار :

– الى أين ؟

- اعتذرى عنى لكل المدعوين . . سأكون مشغولة فى توضيب ملابسي . . فأنا عائدة أيضا الى موطني .

بعد أن انهت توضيب ما ستحتاجه من ثياب ، توجهت الى المطار فوجدت أن الطائرة قد فاتتها كما وجدت أن الرحلات لليوم التالي محجوزة كلها . . وهكذا مر يومان قبل أن تتمكن من حجز مقعد في طائرة متجهة الى المطار القريب من المزرعة . لم تلبث أن اتصلت بشركة الطائرات الخاصة .

وأخيراً شاهدت التلال الحمراء تقبع تحت السماء ، فمالت لتربت كتفت الطيار بعد أن شاهدت المزرعة :

– طر بنا فوق المنزل .

وجه الطائرة نحو المنزل وقال لها :

– هذا المدرج أصبح مألوفاً لنا . ربما يجب أن تبدأ الشركة بتسيير خطوط رحلات إليه !

– هذه آخر رحلة لي إلى هنا . . فأنا قادمة لأستقر هذه المرة .

حلقت الطائرة فوق المبنى على علو منخفض . . تجمعت الجياد داخل الاسطبل المكشوف حتى شكلت حلقة في الوسط . . عندما ارتفعت الطائرة استعدادًا للهبوط ، شاهدت شارلوت جسدًا مألوفاً لها يخرج من الاسطبل فأضاءت وجهها ابتسامة سعادة .

حين دارت الطائرة للمرة الأخيرة قبل الهبوط كانت الشاحنة تسابق الريح ، تقفز فوق الطريق الوعرة نحو المدرج . وكان قلب شارلوت يدق كالطبول بصوت مرتفع

www.riwaya.ga مكتبة رواية

استطاعت أن تسمعه فوق صوت المحركات .

وأخيرًا لامست الاطارات الارض . . ها قد

وصلت الى منزلها .

كانت تجلس على حافة مقعدها والطائرة تتجه الى المكان المسقوف المعد للطائرات . كان برايان يقف قرب الشاحنة منتظراً. . أما هي فعمت دموع فرح غير خجولة عينيها حتى كادت لا ترى أمامها وهي تنزل من الطائرة ، فساعدها الطيار حتى وطئت قدماها الارض .

بقي برايان واقفاً حيث هو . لم يتقدم للقائها . فقامت بالخطوة الأولى اتجاهه ، ثم بالثانية فالثالثة . . ثم سمعت صوته ، صوته الرخيم العميق يقول :

– لقد آن لك أن تعودي الى موطنك .

واندفعت تركض ، لترمي نفسها بين أحضانه فرفعها عالياً في الهواء وعانقها ودار بها يفرح لا حدود له .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

زقزق عصفور دوري من مخبأه بين الواح سطح السقيقة وطارت أنثاه فحطت قربه ، تحمل قشة في منقارها .

في أعلى السقف بدا عش على وشك الانتهاء . . ها مرحلة أولى من مراحل الحياه تبدأ لتوها .

لتحميل مزيد من الروايات الحصرية و المميزة

زوروا موقع مكتبة رواية

www.riwaya.net

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تمت

www.riwaya.ga مكتبة رواية